السبت 6 كانون الثاني 2024
العدد 5101 السنة الثامنة عشرة
Samedi 6 Janvier 2024 no 5101 18ème année

24 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

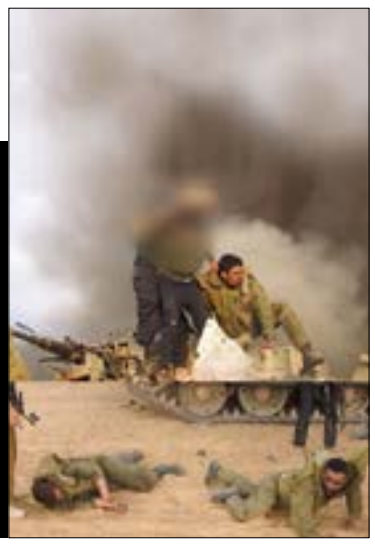

كلمات

حصاد الثقافة 2023
ما قبل «الطوفان» ليس كما بعده

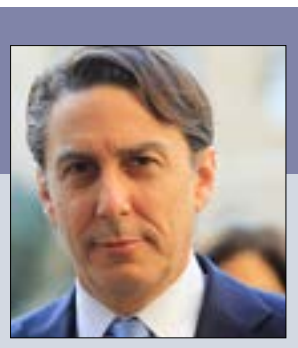

مقترح هوكشتين لـ «اليوم التالي» لبنانياً

معالجة الحدود البرية وتفعيل التسوية الرئاسية
وعودة «توتال» للحفر في البلوكات 8 و9 و10 [2 ـ 3]

نصرالله: الرد على الاغتيال قيد التنفيذ [2]

تحتجب «الأخبار» يوم الاثنين لمناسبة عيد الميلاد لدى الطائفة الأرمنية

(أ ف ب)

طوفان الأقصى

أفكار هوكشتين لـ«اليوم التالي لبنانياً»

معالجة الحدود البرية وتفعيل التسوية الرئاسية وعودة «توتال» للحفر في البلوكات 8 و9 و10

إبراهيم الأمين

من بين الأشياء الكثيرة التي يجيدها السيد حسن نصرالله، رمية الأحجار الثقيلة في المياه الراكدة. هو قال بشكل عفوي، إنه لا يريد التحدث في الوضع الداخلي اللبناني. حكماً، لم يكن يقصد اعتبار أن الوضع لا يستاهل النقاش. لكنه، كان يردّ على السائلين حول فوائد لبنان من عمليات المقاومة على الحدود، بأن فتح ملفاً تحت عنوان «بركات طوفان الأقصى على لبنان»، قائلاً بأن لبنان أمام فرصة جدية لتحرير ما تبقّى من أراضيه المحتلة. وذهب إلى التسمية المباشرة بالحديث عن نقطة الـB1 البحرية والخجر وصولاً إلى مزارع شبعا المحتلة. لكنه، كان حاسماً أيضاً في القول بأن البحث والتفاوض حول أي أمر رهن توقف الحرب على غزة.

كلام السيد نصرالله مقرّر ومدروس، وهدفه الإضاءة على أمور لا يلتفت إليها الجمهور، ولا يهتم بها السياسيون أيضاً. حتى إن بعض الخارج الذي يدّعي الحرص على لبنان، يدرك أن تفاصيل هذا الملف، موجودة حصراً بيد الولايات المتحدة الأميركية، ليس فقط لأنها طرف الأقدر على ممارسة الضغط على إسرائيل، بل لكون من يرغب بالوصول إلى نتائج، يعطي المهمة لمن بيده الأمر.

بحسب معلومات «الأخبار»، فإن الحديث عن «اليوم التالي لبنانياً»، قد بدأ فعلياً، وخصوصاً عند الجانبين الأميركي والإسرائيلي. وهو حديث له صداه في لبنان. وإن كانت الجهات الرسمية اللبنانية ليست اليوم في موقع المفاوض الجدي. وهذا ما دفع الجانب الأميركي لأن يتجه مباشرة صوب الطرف الذي بيده الأمر لبنانياً. وعلى طريقة رجال الأعمال المحنّكة أميركياً، تسعى واشنطن إلى «عقد صفقة» مع حزب الله، من أجل توفير «الضمانات الواضحة التي تريدها إسرائيل لجهة الأمن في مناطقها الشمالية». والفظاظة الأميركية هنا مفيدة أحياناً. بمعنى أن الأميركيين لا يحتاجون إلى اللعب على الكلام عندما يعرضون إتمام صفقة ولذلك، باشروا دراسة الثمن الذي على إسرائيل أن تدفعه للبنان، مقابل الحصول على الهدوء.

أميركياً، أوكل الرئيس جو بايدن الملف إلى مستشاره لشؤون الطاقة (ولبنان) عاموس هوكشتين. وهو هذه المرة يعمل وحده. لأن فريق السفارة في بيروت لا يقدر أن يفيده بشيء. السفيرة السابقة دوروثي شيا سافرت وخليفتها ليزا جونسون، تستعد للقدوم خلال عشرة أيام، وهي مشتاقة إلى هذا البلد الذي عاشت فيه أياماً جميلة، مهنياً وشخصياً أيضاً. وسوف يخرج الكثيرون غداً، دفاتر ذكرياتهم مع الشابة الشقية قبل أن ينال منها العمر. وليزا، تعرف الكثير عن لبنان وعن المقاومة، وسوف يكون لها دورها إلى جانب هوكشتين. لكن، إلى أن تنطلق العملية، فإن الرجل أدار وحده اتصالات عبر وسيط لبناني كان ينقل الرسائل بينه وبين حزب الله، الذي كان يستمع إلى الكلام المنقول ويجيب بعبارة واحدة: ليوقفوا الحرب على غزة وبعدها لكل حادث حديث!.

لم يأخذ هوكشتين وقتاً طويلاً حتى يقتنع بأن لا مجال لأي خطوة ولو بالشكل، قبل توقف العدوان على غزة. لكنه قرّر إنجاز مهمته على مرحلتين. الأولى نظرية، وتشتمل على فكرة الفرضية التي تقول: «في حال توقفت الحرب على غزة، وصار بالإمكان التحاور حول الوضع على الحدود مع لبنان، فما الذي يمكن القيام به». وهو لم يفعل ذلك مع اللبنانيين فقط، بل هو قال للإسرائيليين صراحة، إنه لا مجال لأي بحث قبل وقف الحرب. ونصحهم بألا يصدّقوا «خبريات الفرنسيين والموظفين الأمميين» لأن هؤلاء «لا يعرفون أي شيء، ويقدّمون أفكارهم على أنها مقترحات صادرة عن الطرف الآخر، ويبحثون عن دور بأي طريقة». وفي جولتين معلنتين من البحث بين هوكشتين والقيادات الإسرائيلية السياسية والأمنية والعسكرية خلص الرجل إلى تحديد أولويات تل أبيب:

أولاً: إنهم يعانون الأمرّين جراء ما يجري على الحدود مع لبنان، وإنهم تحت ضغط كبير جراء النزوح الكبير والكبير جداً، الطوعي منه أكثر من القسري الناجم عن عمليات حزب الله، وإن هناك مشكلات كبيرة تنشأ بفعل ما يحصل، ليس فقط على صعيد ما يطلبه المستوطنون، بل تتجاوز ذلك إلى الآثار الناجمة عن التعثر في النشاط الاقتصادي والسياحي والزراعي في هذه المنطقة.

ثانياً: إن إسرائيل تملك ملفات هائلة بالمعلومات حول ما تسميه الانتشار الكثيف لعناصر حزب الله على طول الحدود، وخصوصاً قوات الرضوان، قبل الحرب وبعدها، وإن اسرائيل تعتبر أن الأمن المثالي يتحقق من خلال إبعاد هؤلاء عن الحدود، وخلق واقع أمني في عمق الحدود اللبنانية يضمن عدم عودتهم.

ثالثاً: إن إسرائيل باتت تعرف أنه لا يمكن مطالبة لبنان بإجراءات من دون أن تبادر هي إلى خطوات تشير إلى التزامها بالقرار 1701، إضافة إلى خشية عادت لتظهر عند قيادة العدو، على منصات الغاز ومستقبل هذا القطاع الذي سيكون عرضة لتهديد حقيقي ما لم يتح للبنان الحصول على حقوقه في مياهه الإقليمية والاقتصادية.

التحرير الكامل والتسوية السياسية

بناءً عليه، جاءت زيارة هوكشتين الأخيرة لتل أبيب، وقد خرج منها بفكرة «معقولة» عن المدى الزمني الذي ستأخذه الحرب الإسرائيلية على غزة من جهة، كذلك عن مدى الاستعداد الإسرائيلي للتجاوب مع الطلبات اللبنانية من جهة ثانية. ويبدو أنه وصل إلى استنتاجات، جعلته «متفائلاً إلى حدود معينة» وفق ما رشح عن اتصالات جرت معه

> **المقاومة غير قلقة على ملف السلاح وتحضّر ملفاتها لمنع تكرار تجربة الخطين 23 و29 في البرّ**

> **الموفد الأميركي سمع «صراخاً» إسرائيلياً بشأن مستعمرات الشمال واستكشف المدى الزمني للحرب على غزة**

أمس. لكنّ الرجل يلحّ على ضرورة إنجاز التصور الذي يكون مادة لبحث مباشر وسريع ومركّز عند إعلان وقف الحرب مع غزة. وهو يسعى عملياً إلى «ترتيب مقترح قابل للعيش يكون طرحه متوفراً وسريعاً بعد توقف الحرب، بما يسمح بعدم استهلاك وقت طويل قبل الاتفاق عليه».

وفي المقترحات العملانية هناك نقاط أبرزها:

أولاً: معالجة نقاط النزاع على الحدود البرية، الـ13 الرسمية منها أو الـ17 التي هي قيد الإعداد من قبل المعنيين، سواء في الدولة أو المقاومة، علماً أن قيادة حزب الله، لا تريد أن يدخل لبنان في ملف الترسيم البري على خلفية خلافات مهنية، ما أوجب فتح النقاش مع خبراء وقانونيين وطبوغرافيين لوضع تصور متماسك وتفادي الثغرات التي رافقت الترسيم البحري والإشكال الذي ظهر على الخطوط ما بين الخطين 23 و29. ومن الواضح للجانبين الأميركي والإسرائيلي أن البحث يبدأ مع الإقرار بحق لبنان بالنقطة B1 عند رأس الناقورة.

ثانياً: إعداد التصور العملاني، لأجل انسحاب العدو من الجزء اللبناني من خراج بلدة الماري (الغجر) وتسليمها للدولة اللبنانية من دون الحاجة إلى أي ترتيبات مع أي جهة أخرى.

ثالثاً: الطلب إلى الأمانة العامة للأمم المتحدة «الاستفادة» من الفقرة العاشرة للقرار 1701 التي تنص على أن يقوم الأمين العام للأمم المتحدة بوضع تصور لحل مشكلة مزارع شبعا، وسط رغبة إسرائيلية بأن تكون تحت وصاية القوات الدولية إلى مدى زمني مرهون بمستقبل الصراع مع سوريا. وطلب لبناني واضح، بإقرار العدو والعالم بلبنانية المزارع، ومن ثم تركها للدولة اللبنانية، التي تقرر هي كيفية إدارتها وكيفية معالجة أي نقاط خلاف مع سوريا.

رابعاً: بدء الاستماع الأميركي لفكرة بأن الاستقرار السياسي والاقتصادي في لبنان، شرط حيوي لقيام حكم قوي ومتماسك قادر على ممارسة دوره، بما يعفي من البحث عن ضمانات أي جهات خارجية، وأن لبنان يعرف أن المقاومة ليست في وارد البحث حول سلاحها لا الآن ولا بعد توقف الحرب على غزة، بل إن ما حصل، يعزّز القناعة لديها ولدى قسم من اللبنانيين بأهمية هذا السلاح. وهذا كلام سمعه هوكشتين نفسه، ولذلك تجنّب هو طوال الوقت ترداد «الهذيان الإسرائيلي والأوروبي» حول ضرورة سحب قوات حزب الله من جنوب نهر الليطاني.

خامساً: إدراك هوكشتين، بأن لبنان بحاجة إلى عناصر تعزز الاستقرار فيه، وهذا أمر له علاقة بمعالجة ملفات عالقة، سياسياً (الملف الرئاسي والحكومي وخلافه)، وأخرى، اقتصادياً (الحصار المالي على لبنان وموضوع النفط والغاز).

وعُلم في هذا الإطار، أن هوكشتين نفسه، أبلغ جهات لبنانية مسؤولة، بأن شركة «توتال» الفرنسية سوف تعود لتقوم بأعمال حفر وتنقيب من جديد في البلوك 9، بعد اختيار نقطة حفر جديدة، إضافة إلى العمل في البلوكين 8 و 10. وقد أقر هوكشتين ضمناً، بأن التوقف الذي حصل كان له سببه السياسي.

على أي حال، فإن كلام الأمين العام لحزب الله أمس، حسم الكثير من الجدل القائم في غرف مغلقة أو عبر الإعلام، عن أن الحزب قد يعرقل مساعي لتفاهمات حول الترسيم البري خوفاً على سلاحه، وقال لمن يعتريه الشك أو الظن، بأن «السلاح باقٍ وله دوره الدفاعي، بمعزل عما يجري التوصل إليه لاحقاً، وبالتالي، فإن ليس لدى المقاومة أي قلق حول هذا الأمر».

شارع في إحدى مستعمرات شمال فلسطين الخالية تماماً من السكان (أ ف ب)

نصرالله: قرار الردّ على اغتيال العاروري اتُخذ وتنفيذه عند أهل الميدان

«لأنّ السكوت عن اغتيال الشيخ صالح العاروري يعني أن كل لبنان والمدن والشخصيات ستصبح مكشوفة، وحجم المفاسد المترتّبة عَن هذا الخرق هو أكبر من أي مخاطر تأتي من الرد»، حسم الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله أن «الردّ آتٍ والقرار للميدان»، مؤكداً «أننا لن نستخدم عبارة في المكان

> **نحن أمام فرصة حقيقية لتثبيت معادلة نمنع فيها العدو من اختراق سيادة بلدنا**

والزمان المناسبيْن»، في إشارة إلى أن الرد لن يتأخر. وشدّد نصرالله، في الحفل التأبيني الذي أقامه حزب الله بمناسبة رحيل الحاج محمد ياغي (أبو سليم) في بعلبك، على أنه «عندما يكون الاستهداف في لبنان في الضاحية الجنوبية، لا نستطيع أن نسلّم بهذا الخرق الكبير والخطير».

وخصّص نصرالله جزءاً كبيراً من كلمته لاستعراض نتائج العمليات التي تنفّذها المقاومة من الجبهة الجنوبية ضد مواقع العدو الصهيوني، مشيراً إلى «ظلم تتعرّض له هذه الجبهة على المستوى الإعلامي». وأوضح أنه «على امتداد أكثر من 100 كلم وما يزيد على 90 يوماً تمّ استهداف كلّ المواقع الحدودية المواجهة وعدد كبير من المواقع الخلفية والمستعمرات (...)

(وطنية)

ونفّذت المقاومة ما يزيد على 670 عملية، وفي بعض الأيام بلغ عددها 23 عملية يومياً». وأكّد أن نتائج هذه المواجهة القائمة منذ 3 أشهر وهي «قتل وجرح عدد كبير من جنود العدو الذي مارس منذ بداية المعركة تكتماً إعلامياً كبيراً ولا يعترف بقتلاه وجرحاه»، مؤكداً أن الخبراء في كيان العدو «يقولون إن عدد القتلى الحقيقي هو ثلاثة أضعاف ما يعلنه جيش الاحتلال، وإن الإحصاء بحسب مصادر وزارة الصحة الإسرائيلية حتى الآن ما يزيد على 2000 إصابة في جبهة الشمال»، قائلاً: «لو كنتم تعرفون حجم الخسائر البشرية لدى العدو وآلياته لما سمحتم لأنفسكم بالسؤال عن جدوى القتال في الجبهة الشمالية»، مضيفاً: «نفهم أن تكتّم العدو عن خسائره في جبهتنا هو جزء من الحرب النفسية وحتى لا يُحرج أمام مجتمعه لأن ما يجري إذلال حقيقي للكيان».

ومن نتائج القتال التي تحدّث عنها السيد نصرالله على الجبهة الجنوبية «المهجّرون من المستعمرات الشمالية، حيث إننا طيلة الحروب كنا نحن من يتم تهجيرنا، وهذا التهجير سيشكل ضغطاً نفسياً وسياسياً وأمنياً على حكومة العدو إضافة إلى حالة القلق السائدة على جبهة الشمال». أما للذين سألوا عن جدوى فتح الجبهة الجنوبية، فـ«منذ أول يوم قلنا إن هدف هذه الجبهة الضغط على حكومة العدو واستنزافه من أجل وقف العدوان على غزة، والهدف الثاني تخفيف الضغط عن المقاومة في غزة في الوضع الميداني. هذان الهدفان هل يتحققان فعلاً من خلال الجبهة اللبنانية؟ نعم. عندما اضطر العدو أن يأتي بـ 100 ألف جندي نتيجة خشيته من تطورات الجبهة، واليوم هناك معلومات عن فرق والوية بأكملها على حدودنا، هؤلاء تم حجبهم عن غزة».

واعتبر نصرالله أن «بعض اللبنانيين إما جهلة ولم يقرأوا تاريخ لبنان، وإما يتجاهلون، منذ 1948 إسرائيل تهاجم وتقتحم القرى وتعتدي على البيوت وترتكب المجازر، وهي أقامت أول حزام أمني داخل الأراضي اللبنانية». أما للمستوطنين الذين يطالبون بالحسم مع حزب الله، فأكد أن «هذا خيار خاطئ لكم ولحكومتكم وأول من سيدفع ثمن هذا الخيار الخاطئ هو أنتم. إذا كنتم فعلاً تبحثون عن الحل، الحل هو أن يتوجه مستوطنو الشمال إلى حكومتهم بوقف العدوان على غزة».

وتطرّق السيد نصرالله إلى الكلام الدائر عن طروحات دبلوماسية ومفاوضات، قائلاً إن «الإسرائيلي يثبت معادلات الردع التي أسّست لها المقاومة منذ سنوات طويلة، وهذا يفتح للبنان فرصة أن يتمكن من تحرير بقية أرضه من منطقة الـ b1 إلى بقية مزارع شبعا وكل شبر من أرضنا، ونحن أمام فرصة حقيقية لتثبيت معادلة نمنع فيها العدو من اختراق سيادة بلدنا وهي فرصة فتحتها هذه الجبهة من جديد»، مع التشديد على أن «أي كلام أو تفاوض أو حوار لن يكون أو يوصل إلى أي نتيجة إلا بعد وقف العدوان على غزة».

وعلى المستوى الإقليمي، اعتبر نصرالله أن «هناك فرصة تاريخية أمام الحكومة العراقية ومجلس النواب والشعب العراقي ليغادر الأميركيون هؤلاء المحتلون المجرمون القتلة الذين سفكوا دماء العراقيين والسوريين واللبنانيين، وهم الشركاء الكاملون في كل الجرائم التي تُرتكب اليوم في غزة وفلسطين ولبنان». ورأى أن «الموقف اليمني جعل الكثير من الشرائح تعيد النظر في موقفها الداخلي في موقفها من أنصار الله، وسقطت الأقنعة في حرب السنوات التي فُرضت على اليمنيين وكانت حرباً أميركية تنفذها أنظمة عربية. اليوم ثبت اليمن في المعادلات الإقليمية والدولية التي يقف أمامها العالم على رجل ونصف رجل وفضحت الإسرائيلي والأميركي».

وشهد يوم أمس استكمال التشييع لشهداء العدوان الإسرائيلي على الضاحية الجنوبية لبيروت. إذ شيّعت حركة «حماس» القائد القسّامي سمير فندي، في مخيم الرشيدية، جنوب صور، كما شيّعت مع الجماعة الإسلامية الشهيد محمد بشاشية، في صيدا.

وشيّع حزب الله الشهيدين «على طريق القدس» هادي علي رضا في بلدة تفاحتا الجنوبية، وعباس حسين ضاهر في بلدة كفررمان الجنوبية.

(الأخبار)

رسائل نصر الله تقيِّد خيارات العدو

علي حيدر

لم تتمكّن أجهزة العدو من تجاهل مواقف الأمين العام لحزب الله، السيد حسن نصر الله، الأربعاء الماضي، في الذكرى السنوية للشهيدين قاسم سليماني وأبو مهدي المهندس. رفع جيش العدو مستوى الجاهزية والاستعداد لمواجهة أي سيناريو، وعكست وسائل الإعلام في عناوينها الرئيسية عن «حال تأهب قصوى» و«جاهزية عالية»، إدراكاً بإمكانية أن تسلك التطورات مساراً مغايراً للتقدير لما كان سائداً قبل الشيخ صالح العاروري ورفاقه. وبما أنّ الإعلام الإسرائيلي جزء من المعركة، يُفهم من هذه العناوين أنّ العدو يوجّه رسالتين: الأولى إلى حزب الله باستعداده للذهاب إلى أقصى الحدود في الرد على أيّ ردّ للحزب، والثانية لطمأنة الجمهور الإسرائيلي الذي «انكوى» بغفلة أجهزته عن توقّع ضربة «طوفان الأقصى» الإستراتيجية التي لن تُحذف من الوجدان الإسرائيلي.

أتى اغتيال العاروري ترجمةً لإستراتيجية العدو ضد الساحات والشخصيات التي تدعم المقاومة في غزة، وفي السياق نفسه الذي جاء ضمنه اغتيال القائد في حرس الثورة في سوريا سيد رضي موسوي. كما يتصل بالمرحلة الثالثة (بحسب تسمية جيش العدو) من الحرب التي ترتكز على الاغتيالات. وبهذا المفهوم، فإن ما جرى ليس حدثاً يتيماً، بل حلقةً في سلسلة ستطبع هذه المرحلة بعدما اتّضح أنه ليس في الإمكان تدمير قدرات حماس واجتثاثها في قطاع غزة. في البعد اللبناني، شكّل الاعتداء على الضاحية تجاوزاً للمعادلة التي فرضها حزب الله منذ عام 2006. ولا تنبع الخطورة من الاعتداء نفسه فقط، بل من إمكانية تكراره وتحوّله إلى مسار متواصل. وهنا أهمية رسائل نصر الله، خصوصاً أن تقديرات العدو تستند إلى أنّ حزب الله حريص على تجنّب الحرب، متجاهلاً أن هذا «الحرص» ليس مطلقاً أيّاً يكن ما يقدم عليه العدو، وأن حزب الله سيردّ كما حسم أمينه العام أمس، بما يعيد الكرة إلى تل أبيب وواشنطن معاً، ويضعهما أمام السيناريو الذي حدد نصر الله معالمه، الأربعاء، بأن «الحرب معنا ستكون مكلفة جداً جداً جداً».

استند اغتيال العاروري ورفاقه إلى رهان على وضع الحزب أمام خيارين: الأول، عدم الرد تجنباً للتدحرج، ما سيفتح الباب أمام التشكيك في معادلات الردع ومحور المقاومة. والثاني، الرد بما يؤدي إلى تدحرج نحو مواجهة تفتح المنطقة على سيناريوهات كبرى تورّط الولايات المتحدة في خيار لا تريده حتى الآن. وفي الموازاة، حاول العدو تعزيز فرص عدم الدفع بحزب الله إلى الرد عبر حصر الهدف بحماس حصراً، وقرن ذلك بأداء سياسي وإعلامي لتأكيد أنّ حزب الله ليس هو المستهدف. لكن نصر الله أحبط هذه السردية بخطابيه هذا الأسبوع، وخصوصاً أمس، حاسماً بأن «الردّ آتٍ لا محالة».

هكذا أطاح حزب الله بهذا الرهان مؤسّساً لتقدير ومسار مختلفين. ولم يكن تأكيد نصر الله أنّ حزب الله ليس خائفاً من الحرب ولا يخشاها تكراراً لحقيقة معروفة، بل كان أمراً مطلوباً في ضوء المتغيّرات التي شهدتها الساحات الفلسطينية واللبنانية والإقليمية. فـ«طوفان الأقصى» أطاح بكثير من المعادلات التي كانت سائدة مع كيان العدو وفي المنطقة. وتحوّلت إسرائيل بموجبه إلى الهجوم بكامل قوتها للحدّ من تداعياته، ما أنتج لدى مؤسسات التقدير والقرار تصوّراً بأن القوى المعادية أصبحت مردوعة بشكل أو بآخر.

> **شكّلت رسائل نصر الله إطاراً لتقديرات العدو لدى درس خياراته لمواصلة تجاوز المعادلات**

في المقابل، أتت مواقف نصر الله، إلى جانب الأداء العملياتي للحزب على الحدود، لتؤكد أن المتغيرات التي يراهن العدو على أنها ستعيد خلط الحسابات والتقديرات، لم تنجح في تقييد إرادة الردع والدفاع والهجوم متى اقتضى ذلك. وفي السياق نفسه، استهدفت رسائل نصر الله مرحلة ما بعد الاعتداء في الضاحية، انطلاقاً من أنه كلما ارتفعت احتمالات التدحرج إلى حرب واسعة، كلما كانت أكثر تأثيراً في قرارات المؤسّستين السياسية والأمنية في كيان العدو، وكلما أسهمت في كبح اندفاعها في خيار مواصلة هذه السياسة العدوانية. إلى جانب ضرورة إيصال رسالة مباشرة إلى قيادة العدو حول ما سينتج عن ردّه التصعيدي على أيّ ردّ سيلي اعتداءه الأخير. وهكذا يتّضح أنّ المشهد الذي تشكّل في أعقاب الاعتداء يخالف كلياً تقديرات العدو وما كان يأمله ويسعى إليه.

ولعلّ أهم المواقف التي أعلنها نصر الله، تلك التي بدّدت محاولة العدو استغلال حرص حزب الله على تجنب الحرب انطلاقاً من مصالح وطنية لبنانية، بتأكيده أنه «إذا شُنّت الحرب على لبنان، فإن مُقتضى المصالح الوطنية اللبنانية أن نذهب بالحرب إلى الآخير من دون ضوابط»، في تعبير عن تماهي المصالح الوطنية مع خيار الحرب في مواجهة عدوان إسرائيلي واسع. وهو سيناريو ستكون له في هذه المرحلة تداعياته الخطيرة على مجمل المشهد الإقليمي.

وإذا ما كان لدى أحد توهّم في هذا الاتجاه أو ذاك، فقد بدّده نصر الله، أمس، عندما بيّن مخاطر عدم الرد على مجمل الساحة اللبنانية كونه سيشجّع العدو على استباحتها. وهكذا يتضح أيضاً أنّ الهدف من الرد هو معاقبة العدو وإعادة تثبيت معادلة الردع التي كانت قائمة، والتي من المؤكد أنها ستصبح أكثر صلابة وستتلاشى معها كل الأوهام والرهانات التي راودت قادة العدو.

بنظرة إجمالية، شكّلت رسائل نصر الله الإطار الذي سيلقي بظلاله على تقديرات العدو لدى درس خياراته لمواصلة تجاوز المعادلات التي كانت حاكمة على أدائه (الوضع على الحدود أصبح محكوماً بمعادلات مختلفة منذ الثامن من تشرين الأول)، وأيضاً في مواجهة أي ردّ مدروس وهادف سينفّذه حزب الله.

طوفان الأقصى

9

إسرائيل تواصل الانسحاب من شمال غزة
صواريخ المقاومة حاضرة

غزة ـ **يوسف فارس**

انسحبت قوات العدو، أمس، من أحياء التفاح والدرج شرقي مدينة غزة، بعد عشرة أيام من قتال ضارٍ، دمّرت فيه المقاومة عشرات الآليات، ونفّذت العديد من العمليات النوعية، التي توزّعت ما بين الكمائن القاتلة، وعمليات الالتحام المباشر، والقنص الدقيق. وأظهرت المقاطع التي نشرتها كلٌّ من «كتائب القسام» و«سرايا القدس»، أن العمل في هذين الحيَّين، كان الأكبر زخماً وإبداعاً في كلّ المواقع التي توغّل فيها العدو في شمال وادي غزة. على أن البصمة الإجرامية التي تكرّرت في أحياء التفاح والدرج، هي ذاتها في جميع المناطق التي انسحب منها العدو: دمار كبير وشامل طاول المنازل والبنى التحتية والمقدرات العامة، بما فيها شبكات الكهرباء والمياه والصرف الصحي.

بالقرب من مفترق السنافور، التقينا أحمد غزال، أثناء عودته من رحلة تفقّد منزله بالقرب من مدرسة «أبو بكر الرازي»، في عمق المنطقة الشرقية من الحي. يقول الشاب، في حديث إلى «الأخبار»: «ما عرفت الشارع إلّي فيه دارنا، كل الدور معجونة مع بعض، فش أي ملامح للمنطقة». أمّا بالقرب من صيدلية «التفاح»، حيث وقفنا، واتجهت أنظارنا إلى الجهة الشرقية، فلا يمكن أن تتجاوز الشعور الحادّ بالرهبة والخشوع: الدمار على مدّ البصر، والمنطقة التي كانت مزدحمة بالمنازل، أضحت ساحة جرداء. هناك، التقينا محمد الجزّار، وهو رجل خمسيني يكسو ما تبقّى من شعر أسود في رأسه، الغبار. يقول الرجل: «أمضيت خمس ساعات في محاولة البحث عن جدران بيتي فلم أجده. دخلت الحي، فوجدت جثث الشهداء التي داستها الدبابات، تملأ الشوارع. لم يُبقوا في التفاح حجراً على أخيه».

وبالعودة إلى البعد العسكري للانسحاب من «التفاح»، تقدّر أوساط المقاومة أن العدو لم يعطِ العمل العسكري في الحي المساحة الزمنية الكافية للإنجاز؛ إذ انسحب تحت النار، فيما حتى اليوم الأخير من التوغّل، كانت المقاومة تعلن أنها استطاعت تدمير عشرات الآليات والالتحام المباشر مع الجنود. وبناءً على ما تقدّم، عاد الصحافيون الإسرائيليون، ليؤكدوا أن العملية العسكرية ستنتهي، وفي المقابل، ستكون المقاومة قادرة على المبادرة إلى تنفيذ عمليات إطلاق صواريخ لثلاث سنوات مقبلة، ما يعني ضمنياً، الفشل في تحقيق الأهداف المعلنة، وعلى رأسها «تدمير» حركة «حماس»، حكومياً وعسكرياً.

وفي أحدث دليل على ذلك، واصلت المقاومة، أمس، إطلاق رشقات صاروخية غزيرة، من المناطق نفسها التي انسحب الإحتلال منها لتوّه. أيضاً، أعلنت كلٌّ من «القسام» و«السرايا»، دكّ حشود العدو بالعشرات من قذائف «الهاون».

(أ ف ب)

> واصلت المقاومة إطلاق رشقات صاروخية غزيرة، من المناطق نفسها التي انسحب العدو منها لتوّه

شارع غزّة القديم... حيث داست الدبابات أجساد الشهداء

غزة - **يوسف فارس**

حتى يوم الأربعاء، بقي شارع غزة القديم، الذي يربط محافظة شمال غزة، بأحياء الدرج والتفاح والسدرة، مسرح جرائم مغطّى بستار العزلة التامة عن العالم؛ إذ لم تدخل إليه، خلال الأيام العشرة الماضية، أيّ سيارة إسعاف أو دفاع مدني. حين دخلنا الحي، استقبلنا الأهالي بشعور المجروح، الذي تشتدّ حاجته إلى أن يلقي حزنَه عن كاهله، أمام أيّ كاميرا أو حتى عابر سبيل. هنا، ارتكبت قوات العدو جرائم بشعة بحق المئات من الأبرياء. يقول أحمد المطوق، في حديثه إلى «الأخبار»: «بدأ القصف المدفعي، خرجنا من المنزل، ففوجئنا بأن القذائف تضرب الطوابق العلوية من منازلنا، والدبابات في مقابل باب البيت. طلب منا الجنود أن نخرج من المنازل، وبدأوا بتحقيق قاس تعرّضنا فيه للضرب والإهانة». يُشير الشاب الثلاثيني إلى أرض خالية، ويكمل: «هنا وضعوا مربض المدفعية، وأسفل المدفع أجلسونا جميعاً وبدأوا القصف العنيف. كانت كل قذيفة تلفح وجوهنا باللهب، وتصمّ آذاننا من شدة الانفجار. وبعد ليلة كاملة، اعتقلوا منا العشرات، وأمروا البقية بالتوجّه شمالاً إلى مخيم جباليا. وخلال مرورنا، أطلقوا الرصاص على أقدامنا فأصيب خمسة شبان. وصلنا المعسكر زحفاً من شدة الخوف».

أما أحمد الناعوق، وهو واحد من سكان الحي عايش تلك الليلة، فيتحدث عن خمسة شهداء داستهم دبابات العدو بينما كانوا لا يزالون مصابين وأحياء. يقول الشاب: «طلبوا من أحد الجيران تفتيش كل المنازل، وإخراج كل من لم ينصع لأوامر الجيش. وعندما عاد من مهمته، أطلقوا عليه الرصاص وأصابوه إصابة بليغة، وعلى طريق تقدم الدبابات، كانوا قد طلبوا من خمسة من الجرحى الانسحاب جنوباً إلى مدينة غزة، وفي الطريق داستهم دبابة. اليوم جمعنا ما ظهر من أجسادهم وواريناهم الثرى».

> يتحدث الأطفال الواقفون فوق بقايا جنزير دبابة عن بطولات وملاحم خاضها المقاومون خلال أيام التوغل

على بعد عدة أمتار من حيث يجلس الناعوق، التقينا عبد الله الصيفي، وهو شاب في آخر العشرينيات، غارقٌ في بحر من رماد الأقمشة والسجاد المحروق. في المستودع الذي يحوي عرق سنواته واستثمار العمر، كان يضربُ كفّاً بكف. يقول الشاب في حديثه إلى «الأخبار»: «حرقوا قلوبنا. الله يحرقهم. هذا مشروع عائلي أمضينا العمر في إنشائه. مئات الآلاف من الدولارات هي ثمن البضاعة المحروقة. ليس فيه غرام حديد في الداخل، كله قماش وسجاد وخيطان». ويضيف الشاب، بينما يشير إلى بناية استحالت ركاماً: «هذا البيت كان يسكن فيه 20 عائلة، بنيناه من حبات عيوننا والله. رجعنا اليوم بعد انسحاب العدو، ما لقينا لا دار ولا مستودع».

على الأطراف الجنوبية، حيث تتبدّى أطلال حي التفاح، يتحدث الأطفال الواقفون فوق بقايا جنزير دبابة عن بطولات وملاحم خاضها المقاومون خلال أيام التوغل، وعن شهداء معروفين بالأسماء، أطلقوا الرصاص على رؤوس الجنود من مسافة صفر. وفيما يغيب الكثير من تلك التفاصيل، سيتكفّل الزمن، بلا شك، بكشف خبايا أيام الاجتياح العشرة.

يوميات الغزيين: رحلة البحث عن الحطب والماء

غزة ـ **يوسف فارس**

اختصرت الحرب المستمرة على قطاع غزة منذ 90 يوماً، جدول المهمّات اليومي للأهالي، وأخرجته بالبحث عن الماء والحطب، بعدما انعدم وصول المياه إلى المنازل ومراكز الإيواء، وانقطع غاز الطهي تماماً، على نحو أصبح معه لزاماً على الرجال والأطفال، الخروج منذ الصباح الباكر في رحلة التحطيب. يقول أحمد أبو حمام، وهو معلم يعمل في «وكالة غوث وتشغيل اللاجئين» (أونروا): «حياتنا تتلخّص في ثلاث مهام: نستيقظ بعد الفجر، نقضي خمس ساعات في تأمين 20 ليتراً من الماء، ثمّ نجوب الشوارع والبيوت المقصوفة بحثاً عن الخشب والحطب، وإذا ما تبقّى من النهار متّسع، نبحث عن مكان نشحن فيه هواتفنا... وهذه رفاهية».

ليست العائلات وحدها من تعاني في الحصول على الحطب (أ ف ب)

> لم تدخل إلى شمال غزة أي كمية من غاز الطهي منذ نحو 90 يوماً

في شارع السكة شرقي مخيم جباليا، حيث تتساقط بشكل مستمر قذائف الدبابات، التقينا الأخوين سامح وعاصم وهما يجرّان، رغم نحول جسديهما، عربة مليئة بالأخشاب. يقول عاصم الذي تقيم عائلته في واحدة من مدارس الإيواء وسط المخيم: «طلعنا من الصبح عالسكة عشان نلم حطب. أمي بتستنى حتى تطبخ في المدرسة. قصفوا ثلاث شباب من جيراننا في آخر الشارع وهما بيلموا حطب». ووفقاً لمصادر أهلية، فقد استشهد خمسة شبان أوّل من أمس، عبر قيامهم بجمع الحطب من الأراضي المجرفة في مدينة بيت حانون أقصى شمال القطاع.

بالقرب من الأخوين، كان خليل عودة يحمل وإخوانه ركام المنزل. تتلخّص المهمة التي يقومون بها، بالبحث عن أبواب المنزل وأثاثه: «هذا آخر الكنوز المتبقية»، يقول خليل في حديثه إلى «الأخبار»، مضيفاً: «نستهلك كميات كبيرة من الحطب في الطهي وتسخين الماء. اليوم الحطب مفقود، وسعر الكيلو 7 شواكل - 2 دولار -، ومع الشتا صرنا مضطرين نولع في الليل حتى نتدفى. لهيك ما فيه حل غير نطلع نجيب الغاز من الشخص اللي عندو». ويضيف خليل، في حديثه إلى «الأخبار»: «أنا عندي 4 عيال، ما بقدر أخليهم يموتوا من البرد، لازم أدبّر حالي».

في الحصول على الحطب؛ إذ يشير أبو إبراهيم دحلان، وهو صاحب المطبخ الوحيد الذي لا يزال يعمل في محافظة شمال غزة، إلى أنه لم يستطع تشغيل المطبخ لأيام عدة بسبب عدم توافر الأخشاب والحطب. ويضيف، في حديث إلى «الأخبار»، «إننا» نتولى كلّ يوم مسؤولية تأمين الطعام لأكثر من 10 مراكز إيواء يقيم فيها 100 ألف إنسان. هؤلاء يعتمدون بشكل أساسي على ما نوفّره من أرز. وفي حال لم نجد حلاً نستطيع به توفير غاز الطهي، سنكون أمام أزمة إنسانية حقيقية».

جدير بالذكر أنه لم تدخل إلى شمال غزة أي كمية من غاز الطهي منذ نحو 90 يوماً، حيث أخلّت إسرائيل باتفاق توريد الغاز إلى منطقة الشمال، خلال الهدنة التي استمرّت 6 أيام قبل أكثر من شهر من الآن.

العدو نحو انسحابات واسعة إضافية
نهاية مبطنة للحرب... بلا «نصر»

يحيى دبوق

تواصل إسرائيل عمليتها البرية بكثافة متوسطة في منطقة خانيونس ومخيّمها، جنوبي قطاع غزة، مراهنة على إمكانية تحقيق إنجاز ما في هذه المنطقة، تُعذّر تحقيقه في شمال القطاع، حيث انتقلت، قبل أكثر من أسبوع، إلى المرحلة الثالثة من عمليتها، وسط انسحابات واسعة جداً من المناطق التي كانت تسيطر عليها، وتدفع أثماناً يومية جرّاء الاحتفاظ بها. ويُفترض، خلال أسبوع أو اثنين، أن يسحب الجيش الإسرائيلي قوّاته إلى حزام أمني ينوي الاحتفاظ به في وسط غزة، كما جرى في الشمال، ما يعني أيضاً الانتقال من المرحلة الثانية بلا تحقيق أيّ من أهدافها، إلى المرحلة الثالثة، التي سيتمركز فيها في شريط أمني على حدود القطاع، يراوح عرضه بين كيلومترين وثلاثة كيلومترات. وسيكون هذا الشريط، وفق ما يُخطَّط له، منطلقاً لهجمات وتوغّلات موضعية، استناداً إلى ما يحصل عليه العدو من معلومات استخبارية أو ما يطرأ لديه من حاجات عملياتية، ضدّ حركة «حماس» وفصائل المقاومة الأخرى، التي بدأت من الآن الانتشار في مناطق شهدت انسحاباً إسرائيلياً.

ولا تغيّر التصريحات الأخيرة لوزير أمن العدو، يوآف غالانت، من الواقع المشار إليه أعلاه شيئاً؛ فهو إذ رفض توصيف الواقع على ما هو عليه حقيقةً، وشدّد على أن الحرب ستستمرّ وإنْ بطرق وأساليب مختلفة، أكّد في عرضه لتفاصيل المرحلة المقبلة، ما أراد نفيه: الحرب عن بعد، مع قتال منخفض الوتيرة والشدّة. وفي خلفية قرار إسرائيل التراجع، يمكن الإشارة أولاً إلى فشلها في تحقيق أهدافها ميدانياً، مع ما صاحب ذلك من دفع أثمان يومية بفعل البقاء في المرحلة الثانية طويلاً. أيضاً، عانت القوات في الانشغال العملياتي في الميدان طويلاً جداً وبما يفوق قدرتها، حيث كان التركيز على القوات النظامية وهي محدودة العدد، في ظلّ استمرار احتجاز مئات الآلاف من الاحتياط، علماً أن لا قدرة لدى هؤلاء على تنفيذ مهامّ قتالية واسعة النطاق، فضلاً أن الجنود وجدوا أنفسهم في دائرة مفرغة من "مزيد من الشيء نفسه" بلا إنجازات. كل ما تقدّم، دفع المؤسسة العسكرية إلى الضغط نحو قرار الانسحاب من شمال القطاع، وقريباً من جنوبه.

وشكّل الانتقال إلى مرحلة القتال البري المنخفض الكثافة، مع تراجع واسع إلى الخلف، وتحديداً إلى تخوم القطاع، على الدوام، مطلباً أميركياً لم يجد تجاوباً من الجانب الإسرائيلي، سواء من صانع القرار السياسي، أو من جانب المؤسسة العسكرية، وكلاهما كانا معنيين باستمرار القتال البري العالي الكثافة، مراهنَين على إمكانية تحقيق بعض أهدافه، ومن بينها إسقاط حكم "حماس" والحركة نفسها، وأيضاً إطلاق سراح الأسرى الإسرائيليين. ولعلّ التوصيف الأدقّ للمرحلة الثالثة التي بدأتها إسرائيل عملياً، هو أن الحرب انتهت وانتقلت إلى هدنة غير معلنة، على أن يكون للعدو هامش مناورة في تنفيذ عمليات، في حال تطلّب الأمر ذلك، في واقع شبيه بما يجري في الضفة الغربية، علماً أن إسرائيل تواجه في غزة قوة معتدّاً بها، قادرة على الإيذاء أكثر، مقارنةً بواقع المقاومين في الضفة. بعبارة أخرى، أنهت إسرائيل ما كانت قوتها العسكرية قادرة على تحقيقه

> أهمّ ما في زيارة بلينكن أنها تأتي لتلقّي أجوبة هذه المرّة، وليس فقط لطرح أسئلة

في الحرب، لتعود أدراجها، ولتبني لاحقاً على الشيء مقتضاه، في ما يمثّل نتيجة طبيعية للفشل في إنجاز أهداف الحرب، كما خُطّط لها ابتداءً. أما حديث غالانت وغيره، وهو بالمناسبة يناقض ما يصدر عن المراقبين والخبراء، فهو إنكار للحقائق ومحاولة لتحويرها.

زيارة بلينكن

وصل وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، مساء أمس، إلى المنطقة، مفتتحاً زيارته التي تستمرّ على مدى أسبوع تقريباً (لغاية الـ11 من الشهر الجاري)، من تركيا، على أن يتوجّه بعدها إلى اليونان، ومنها إلى الأردن فقطر والإمارات والسعودية، ثم إلى إسرائيل والضفة الغربية، ويختمها في مصر. وإذ قيل عن مهمّة بلينكن الكثير قبل أن تبدأ، فإنّ أهمّ ما فيها أنها تأتي لتلقّي أجوبة هذه المرّة، وليس فقط لطرح أسئلة، وتحديداً حول ما الذي تريد إسرائيل فعله في مرحلة الإنهاء الفعلي للحرب.

لكن هل سيتلقّى إجابات؟ الأرجح لا. فإسرائيل نفسها، لا تمتلك إجابات لتطرحها على طاولة النقاش عن اليوم الذي يلي، مع الجانب الأميركي، فيما الأخير نفسه، الذي بحث طويلاً مع شركائه في المنطقة والعالم ومع الجانب الفلسطيني الرسمي، لم يجد حلاً ناجعاً للقطاع في مرحلة تُوهِم أنها ستكون خالية من حركة "حماس"، فكيف الحال مع بقاء هذه الأخيرة؟ في هذا الإطار، تقول صحيفة "إسرائيل اليوم": "المرحلة الجديدة من القتال التي تدخلها إسرائيل هذه الأيام لا تخلو من المخاطر. فليس هناك يقين بأن الشكل الجديد للحرب سيحقّق الأهداف التي حدّدتها الحكومة، أي حرمان حماس من قدراتها العسكرية والحكم وإعادة المختطفين". إلا أن المؤكد، في سياق ما ذهبت إليه الصحيفة، أن ما وعد به سياسيو إسرائيل وعسكرها، المستوطنين، وهو الأمن الشخصي والجماعي، لم يتحقّق، ولا يبدو أنه سيتحقّق.

بداية انشقاق في «مجلس الحرب»

يبدو أن المسؤولين السياسيين الإسرائيليين، وحتى بعض الأمنيين، يتصرفون على أساس أن الحرب قد انتهت؛ إذ لا يفتأون يتراشقون بالاتهامات السياسية، ويتبادلون تحميل المسؤوليات، مستعيدين كل الخلافات القديمة، وإلى جانبها أسباب الفشل في 7 أكتوبر، والتنازع حول مسار الحرب وما بعدها. واشتعلت، ليل أول من أمس، جلسة «المجلس الوزاري السياسي والأمني» (الكابينت الموسّع)، والتي كان من المفترض أن تناقش قضايا «اليوم التالي»؛ فبينما كان رئيس أركان الجيش، هرتسي هاليفي، يقدّم مطالعته، حول تشكيل فريق للتحقيق في أداء الجيش، وعلى رأسه شاؤول موفاز (رئيس أركان ووزير جيش سابق)، هاجمه وزير «الأمن القومي» إيتمار بن غفير، ووزير المالية بتسلئيل سموتريش، ووزيرة المواصلات ميري ريغيف، ووزير التعاون الإقليمي دافيد أمسالم، في حين تولّى وزير الجيش، يوآف غالانت، ووزراء «معسكر الدولة» الدفاع عنه. ووصفت صحيفة «معاريف» الجدال الذي وقع بـ«السيرك»، لافتةً إلى أن «رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو استفاد من الهجوم (على هاليفي)، عندما أشار على رئيس الأركان بأنه يجب أن يستمع إلى انتقادات الوزراء».

وعلى خلفية ذلك، هاجم عضو «كابينت الحرب»، بيني غانتس، أمس، الوزراء الذين هاجموا هاليفي «بدوافع سياسية في خضمّ الحرب»، مضيفاً أن «مثل هذا السلوك لم يكن موجوداً على الإطلاق، ولا يجب أن يكون موجوداً». واعتبر أن «رئيس الوزراء مسؤول عن عدم مناقشة مجلس الوزراء العمليات الإستراتيجية التي ستؤثّر على استمرار المعركة وأمننا في المستقبل (...) عليه مسؤولية التصحيح والاختيار بين الوحدة والأمن، والسياسة». ولم يكتفِ غانتس بذلك، بل نقل مقرّبون من حزبه أنه ربما يفكّر بالانسحاب من «حكومة الطوارئ»، ليسارع حزب «الليكود» (برئاسة نتنياهو) إلى مهاجمته، قائلاً: «نتوقّع من غانتس التوقّف عن البحث عن ذرائع لخرق وعده بعدم الانسحاب من حكومة الطوارئ حتى انتهاء الحرب». وسرعان ما ردّ حزب «معسكر الدولة» (حزب غانتس) على بيان «الليكود»، مذكّراً بـ«الوعود» التي قطعها نتنياهو، عند انضمام غانتس وأيزنكوت إلى الحكومة، وأهمّها التمديد لكل قادة ومسؤولي الأجهزة الأمنية والقضائية خلال الحرب، الأمر الذي خرقه بن غفير بالفعل، عندما قرّر عدم التمديد لمفوّضة مصلحة السجون.

بدوره، هاجم بن غفير، غانتس، قائلاً: «أولئك الذين دعوا أبو مازن إلى منزلهم يستمرّون في كلّ من الكابينت الحرب والكابينت الموسّع، في الخطّ الفاشل ذاته»، مضيفاً أنّ «من واجبنا طرح الأسئلة على رئيس الأركان، والتأكّد من أنه سيجيب عليها». أما في ما يتعلّق بـ«اليوم التالي»، فمن الواجب - بحسب بن غفير - «إجراء نقاش في الكنيست، وعدم ترك القرار لغانتس الذي يسعى إلى إيصال حكم أبو مازن ورفاقه إلى غزة. بداية يجب أن نضمن القرار والنصر، فنحن لم ننته من الحرب بعد، ويجب ألا نتوقّف في المنتصف». وكان بن غفير قد اعتبر، في وقت سابق، «تعيين موفاز خطيئة كبرى».

أما على صعيد المعارضة، فاعتبر زعيمها، يائير لبيد، التسريبات الأخيرة «وصمة عار، ودليلاً على خطورة الحكومة» مضيفاً أنه «يجب استبدال الحكومة ورئيسها، فهي لن تتمكّن من اتخاذ قرار إستراتيجي لمصلحة البلاد». كما اعتبر، في تعليقات لاحقة، أن «جلسة مجلس الوزراء الأخيرة انحدار جديد غير مسبوق خلال الحرب»، مبدياً استغرابه لكون «وزراء يهاجمون رئيس الأركان ويحاولون تحقيره في خضمّ الحرب بينما رئيس الوزراء يتفرّج»، قائلاً إن «هذا ليس مجلس وزراء بل كارثة وطنية». وفي الاتجاه نفسه، اعتبرت رئيسة حزب «العمل»، عضو «الكنيست» ميراف ميخائيلي، أن «كل دقيقة يتّخذ فيها هؤلاء الأشخاص (الحكومة) قرارات بشأن حياتنا، تشكّل خطراً على حياتنا»، متابعةً أنه «مرة أخرى يصبح من الواضح مدى خطورة نتنياهو على الكيان، ومدى إلحاح استبداله الآن وعلى الفور».

من جهته، أوضح هاليفي، بعد الهجوم الذي تعرّض له، أنه يعتزم إجراء «تحقيق مهني من قِبل فريق مراقبة خارجي، لفحص أداء الجيش في الحرب، من أجل تحسين أدائه للمستقبل». وبحسب قوله، فإن «التحقيق سيشمل فحص جاهزية الجيش والتسلسل القيادي، ولن يتناول المستوى السياسي». وعقب ذلك، اتصل غالانت برئيس الأركان للتعبير عن دعمه له وثقته بضباط الجيش. وأضاف غالانت: «يتعيّن على الجميع الكفّ عن الاستغلال غير المسؤول للجيش وقادته لتحقيق مكاسب سياسية».

من جهة أخرى، وفي أعقاب تقديم وزير حربه خطّته لـ«اليوم التالي»، كرّر نتنياهو القول إن النقاش بهذا الخصوص يجب أن يبدأ بعد «اليوم التالي لحماس»، وإنه يجب أن تكون غزة «منزوعة السلاح»، معتبراً توقّع قيام السلطة الفلسطينية بهذه المهمة «حلماً بعيد المنال».

(الأخبار)

طوفان الأقصى

إسرائيل تخشى نهاية الحرب

لا حصانة في «اليوم التالي»

حسين إبراهيم

على رغم أن الدلائل كلّها تشير إلى أن العدو سيخرج خالي الوفاض من حرب غزة من حيث تحقيق الأهداف الكبرى، وأن كلّ يوم يمرّ يُثبت أن الحرب بالمعنى العسكري صارت بلا جدوى، فإن المحرّك الأساسي لاستمرارها هو خوف الإسرائيليين من انتهائها، الذي يجب أن تسبقه إجابة عن سؤال اليوم التالي. وذلك اليوم يمكن أن يكون أحد احتمالين: الأوّل، انتفاء التهديد من غزة والضفة الغربية، وأيضاً من الشمال، كما يأمل قادة إسرائيل، وهذا يبدو بعيداً؛ أو العيش - وهنا الاحتمال الثاني - في ظلّ كابوس حصول 7 أكتوبر جديد على إحدى تلك الجبهات أيضاً.

يعمل الإسرائيليون على هدي غريزة تقول إن الإسراف في القتل قد يؤدي غرض استعادة «الهيبة» التي فقدها العدو على الأقلّ، إن لم يؤدّ إلى التهجير المأمول. ولكن التجربة تفيد بغير ذلك، ولا سيما أن الممارسة إياها تضع الفلسطينيين أمام تهديد لا حلّ له، بالغريزة والعقل أيضاً، إلّا المقاومة والدفاع عن النفس حتى الرمق الأخير. كذلك، يميل الجمهور الإسرائيلي، وليس القيادة السياسية فقط، إلى تطويل المراحل، لأن الانتقال من واحدة إلى أخرى بينها يقرّب نهاية الحرب ويضع هذا الجمهور وجهاً لوجه أمام المجهول. ولذا، ترى القادة السياسيين في إسرائيل من بنيامين نتنياهو إلى إيتمار بن غفير وبتسلئيل سموتريتش، مروراً ببني غانتس، يصرّون على اقتلاع حركة «حماس» من قطاع غزة، والذي يعني عملياً إبادة سكان القطاع أو تهجيرهم، ومن ثمّ التفرّغ للجبهات الأخرى في الضفة وفي الشمال.

في المقابل، فإنّ العنصر الأساسي في قوة المقاومة في غزة، هو أن الأخيرة تتصرّف على أساس أنه لا حلّ إلا بالقتال، حتى في ظلّ المعاناة التي يكابدها ناس القطاع والتي تفوق طاقة البشر على الاحتمال. ليس منطقياً هنا القول إن الغزّيين يفضّلون الموت على النزوح. ولا يمكن لأحد في الأساس أن يطلب منهم الموت في العراء وعدم الرحيل الذي لو كان متاحاً لرحل الكثيرون. الواقع أن الناس في غزة لا يستطيعون الخروج إلّا من منطقة إلى أخرى داخل القطاع. وفي هذه الحال، ترتفع نسبة الذين يفضّلون عدم مغادرة بيوتهم، ولو انطوى الأمر على قدر من المخاطرة، لأن الفارق لا يعود كبيراً.

ولأن الأمر كما تقدّم، تصبح المقاومة هي الطريق الأقصر لإنقاذ من يمكن إنقاذه من ناس غزة، ومن ممتلكاتهم وأرزاقهم. ولأن الناس لم يحملوا مفاتيح بيوتهم ويرحلوا كما فعلوا في نكبة 1948، على أمل أن تعيدهم الجيوش العربية بعد أيام قليلة، تحوّلت إلى 75 سنة كاملة حتى اللحظة، يصبح عدم الرحيل هذا، مهما كانت أسبابه، هو مأزق الإسرائيليين، الذين تعوّدوا على أن يهرب العرب من أمامهم، وما زالوا يتمسّكون بأمل أن يحصل ذلك، كطريقة لتحقيق الأمن الذي لن يعود الإسرائيليون من دونه إلى منازلهم في مستوطنات غلاف غزة أو مستعمرات الشمال. منذ البداية إذاً، كان الصراع صراع وجود، لكن الإسرائيليين يستعجلون النهاية، لأنهم ليسوا من النوع الذي يمكنه الانتظار أو العيش في الأبد. اليوم، يعتقد الإسرائيليون أن قتال جيشهم في غزة هو دفاع عن شروط العيش على هذه الأرض، وهو ما يعتبرونه امتيازاً، بالنظر إلى الإغراءات المالية للبقاء، ولا سيما في المستوطنات الأمامية، والمعنويات التي يؤمنها لهم الوجود ضمن الدولة على أرض فلسطين. الخيار الآخر بالنسبة إليهم هو العودة إلى زمن التيه والشتات، الذي قامت عليه الهجرة إلى فلسطين. لكن أكثر ما يمكن أن تأمله إسرائيل في غزة هو ترتيبات تشارك فيها الولايات المتحدة كضامن لأمنها، تخلّ بموجبها «حماس» بسلاحها في القطاع. هذا ما يمكن استخلاصه من كلام جون كيربي حين قال قبل أيام إنه لا يمكن القضاء على فكر «حماس» بالقوة العسكرية، وإن الحركة ما زالت تحتفظ بقدرات كبيرة. وفي الشمال، يرفض الإسرائيليون العودة إلى المستعمرات إذا لم تبتعد المقاومة عن الحدود، ويطالبون قادتهم بتوجيه ضربة إليها لتحقيق الهدف المذكور، ولا يؤمنون بأن حلاً سياسياً يمكن أن يضمن أمنهم. لكن كما في غزة، وربما بشكل أكبر، لا فرصة لتحقيق هكذا هدف لا بالسياسة ولا بالعسكر، إذا سلّمنا أصلاً بأن أميركا ستوافق على دعم حرب إسرائيلية على لبنان.

الأميركيون يتصرّفون على أن أي ترتيبات لما بعد الحرب، أو اليوم التالي، يجب أن تأخذ الحقائق على الأرض كما هي

وعليه، سيتعيّن على هؤلاء العيش في ظلّ كابوس تكرار 7 أكتوبر على الحدود اللبنانية، أو أن يظلّوا حيث هم، وتبقى مستعمراتهم خاوية. دائماً ما كان الإسرائيليون يرفضون تسليم أمنهم لأحد، ولا حتى للأميركيين، لأنهم يعتبرون أن الأمن الذي يرعاه طرف آخر، ولا سيما بالمعنى اليومي، هو أمن نسبي في أحسن الأحوال، حتى لو كانت أميركا تشكّل مظلة لبقاء إسرائيل على المستوى الإجمالي. اعتادوا على أخذ الأمر بيدهم، وهذا ما يبدو غير ممكن في الظروف الحالية، فيما اعتبرتها الإذاعة العبرية خطوة مهمة على طريق طرد مئات «المخربين» مستقبلاً، والعشرات في الأشهر القريبة، مشيرةً إلى أن ثمانية من هؤلاء سيكونون «المطرودين الأوائل». وصدر، حديثاً، تقرير «سلطة مكافحة الإرهاب»، والذي سيحدّد، بحسب الإذاعة نفسها، بناءً على معلومات استخباراتية، من يتلقّى أموالاً من السلطة. وأضافت: «قبل عملية

الذي لن يعود الإسرائيليون من دونه إلى منازلهم في مستوطنات غلاف غزة أو مستعمرات الشمال. منذ البداية إذاً، كان الصراع صراع وجود، لكن الإسرائيليين يستعجلون النهاية، لأنهم ليسوا من النوع الذي يمكنه الانتظار أو العيش في الأبد

يميك الجمهور الإسرائيلي، وليس القيادة السياسية فقط، إلى إطالة مراحله الحرب (أ ف ب)

إيران تتوعّد مهاجمي كرمان: بصمة «التكفير» لا تحيّد إسرائيل

حَضَر خروبي

شكّل تزامن وقوع التفجيرين الإرهابيّين بالقرب من «روضة الشهداء» في مدينة كرمان، جنوب إيران، مع استمرار تخبّط إسرائيل في حرب غزة، وكونهما ترافقا مع اغتيال نائب رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس»، صالح العاروري، في بيروت، وقبله القيادي في «الحرس الثوري» الإيراني، سيد رضي موسوي، في سوريا، سياقاً موضوعياً لاتهام الحكومة الإيرانية، كيان الاحتلال بالوقوف بشكل مباشر أو غير مباشر خلفهما. ومنذ الساعات الأولى، وفي حين راجت معلومات متضاربة حول الهجوم الذي استهدف زوّار مرقد الشهيد قاسم سليماني في مقبرة كرمان، حيث كان هؤلاء يحيون الذكرى الرابعة لاغتياله، كما حول الجهة/ات الضالعة في تنفيذه، ومن جملتها ما أشيع من معطيات أولية تفيد بوجود عبوتَين ناسفتَين في المكان، وهو ما فسّره مراقبون بادئ الأمر على أنّه مؤشّر إلى ضلوع إسرائيل المباشر في ما جرى، كشفت وكالة الأنباء الرسمية الإيرانية (إرنا) أن أحد التفجيرين نفّذه انتحاري، ما يُفهم كتوطئة لتوجيه أصابع الاتهام إلى التنظيمات المتطرّفة، كـ«داعش»، أو «مجاهدو خلق»، إضافة إلى الجهات الإقليمية والدولية الداعمة لهما.

ثالوث إسرائيل - الولايات المتحدة - الجماعات التكفيرية

على وقْع تلك المعطيات المتفاوتة، كانت الجمهورية الإسلامية تبعث بإشارات مختلفة حول هوية المعتدين، ونطاقات ومديات الردّ الذي يمكن أن تذهب إليه ضدّهم. وتوالت تصريحات المسؤولين الإيرانيين المتوعّدة لإسرائيل، من أعلى رأس هرم القيادتَين السياسية والروحية إلى أسفله، مع العلم أن وزير الخارجية الجديد لكيان الاحتلال، إسرائيل كاتس، قال قبل أيام إن تل أبيب تخوض «حرباً عالمية» ضد طهران على خلفية برنامجها النووي. وأشار المرشد الأعلى الإيراني، علي الخامنئي، إلى تورط مَن سمّاهما بـ«قوى الاستكبار العالمي وداعمي جرائم الصهاينة»، مؤكداً عزم بلاده على توجيه «ردّ حاسم» في وجه المعتدين، وهو الموقف ذاته الذي تبنّاه الرئيس إبراهيم رئيسي، حين تعهد بتدفيع إسرائيل «ثمناً غالياً» على فعلتها. ويوم أمس، وعقب تفقّده جرحى التفجيرين الإرهابيَين في مستشفى كرمان، وزيارته ضريح سليماني، أكد رئيسي أنّ «المبادرة هي بيدنا وبيد قواتنا»، وأنّ «مسؤولياتنا ستكون مضاعفة تجاه دماء شهدائنا»، في إشارة إلى تمسّك بلاده بالردّ على كيان الاحتلال. ولفت رئيسي، خلال كلمة في تشييع شهداء التفجير، إلى تنبّه بلاده للواقع الإسرائيلي المأزوم الذي يدفع حكومة الاحتلال إلى التصعيد في المنطقة، مشيراً في الوقت ذاته إلى أن «العدو يعلم قوّتنا، وردّنا

حمل كلام مسؤولين أمنيين إيرانيين تصويباً مباشراً على الجماعات المتطرفة

على هجوم كرمان ستحدّده قواتنا في الزمان والمكان المناسبَين».

في المقابل، وعقب ساعات من إعلان تنظيم «داعش» مسؤوليته عن مجزرة كرمان، حمل كلام مسؤولين أمنيين إيرانيين تصويباً مباشراً على الجماعات المتطرفة، وإنْ كانت إيران تعتبر الأخيرة ذراعاً إرهابية لما دأبت دوائرها الأمنية على توصيفه بـ«الثالوث التكفيري الصهيو - أميركي». وأعلن وزير الداخلية الإيراني، أحمد وحيدي، أن قواته عثرت على «أدلة جيدة حول أسباب التفجير الإرهابي في كرمان»، مؤكداً «اعتقال عدد من المشتبه فيهم». وشدّد وحيدي على أنّ «الحركات الإرهابية المدعومة من الأنظمة الإرهابية ستقع في قبضة قوى الأمن الإيرانية». وفي الاتجاه نفسه، جاءت تصريحات القائد العام لحرس الثورة الإسلامية في إيران، اللواء حسين سلامي، حين أكد أنّ بلاده ستنتقم لدماء الشهداء، مضيفاً أنّ «التكفيريّين أجبن من أن يواجهونا وجهاً لوجه، وهدفهم الأطفال والنساء». وتوعّد سلامي تلك الجماعات، مشدّداً على «(أنّنا) نهزم التكفيريين كل يوم، ولن نسمح للعدوّ بالسيطرة علينا».

معادلة الردّ: «أضعف لحظة ممكنة»

ومن هنا، فقد أعطت ردود الفعل «المدروسة» الصادرة عن القيادتَين العسكرية والسياسية في طهران، دلالات حول تفطّن الجمهورية الإسلامية لحقيقة نيات إسرائيل المتوثّبة لتوسيع نطاق الحرب، وتنبّهها إلى ضرورة تفويت الفرصة على حكومة بنيامين نتنياهو للتخفيف من الضغوط الخارجية الممارسة عليها، ومن أزماتها الداخلية، على حد سواء، وخاصّة ما يتعلق منها بالانقسامات المتنامية في أوساط الطبقة السياسية، وبسجلّ إخفاقات حربها على غزة، فضلاً عن رغبتها في الاندفاع نحو تصعيد جديد تتلطّى خلفه لاستدرار المزيد من الدعم العسكري الأميركي بعد إشارات «سلبية» في هذا الخصوص، لعلّ أبرزها سحب حاملة الطائرات «جيرالد فورد» من منطقة عمليات البحر المتوسط. ووفق بعض المراقبين، فإن نهج إيران الذي يميل إلى رفض تقديم الفرصة لإسرائيل لفرض معركة إقليمية وفق توقيتها، يتقاطع مع عدم رغبة واشنطن في تصعيد كبير في المنطقة، إذ ترامس طهران على التباينات الأميركية - الإسرائيلية في هذا الخصوص، وتبني على أساسها خيارات ردّها على الاعتداء الأخير. وفي هذا السياق، أشارت صحيفة «تلغراف» إلى أنّ قادة المحور الإقليمي، الذي تتزعمه طهران، وعلى رأسهم الأمين العام لـ«حزب الله»، السيد حسن نصر الله، «يعلمون أن إسرائيل تخسر الدعم الدولي مع تلاشي ذكرى هجوم السابع من أكتوبر»، مؤكدة أن الأخير بات يعاين عن كثب مدى تصدّع المجتمع والسياسة في كيان الاحتلال. وبحسب الصحيفة البريطانية، فإن قادة ذلك المحور، وخاصة نصر الله، إذا ما تمكّنوا من احتواء مقاتليهم، فسوف ينتظرون ضرب إسرائيل في «أضعف لحظة ممكنة»، وهو السبب عينه الذي قد يدفع إسرائيل إلى أن تقرّر في الوقت الراهن القضاء على «حزب الله»، باعتباره «الورقة الرابحة» بيد المحور، وفق تعبير الصحيفة.

مشروع «الترانسفير» يفرّخ: مقترح قانون لإبعاد فلسطينيّي الداخل

رأم الله ـ أحمد العبد

يبدو أنّ إسرائيل لا تجد أفضل من الوقت الحالي لتمرير قوانينها العنصرية كافة، وتصعيد عدوانها الانتقامي ضدّ الفلسطينيين، وتحديداً عبر تكريس احتلالها العسكري للضفة الغربية المحتلّة، ومواصلة خنق فلسطينيّي الداخل المحتل، والذين تتّسع دائرة استهدافهم يوماً بعد يوم. ويأتي ذلك تصعيداً لسياسات متقادمة استهدفت هؤلاء - توازياً مع سعي دولة الاحتلال إلى سلبهم هويتهم الوطنية وسلخهم عن شعبهم وقضيتهم -، بعشرات القرارات والقوانين العنصرية والعقوبات الهائلة، بهدف جعلهم «مواطنين» من الدرجة الثانية أو الثالثة، من دون إسقاطهم - في الوقت نفسه - من مخطّطات التهجير والطرد. لا بل إن إسرائيل تعتقد أن أكبر أخطائها أنها لم تقُم بعملية تطهير عرقي كاملة بحق الفلسطينيين في عام 1948، وهو ما تسعى إلى «تصحيحه» الآن.

وفي هذا السياق، قدّم نواب يمينيون في «الكنيست» الإسرائيلي تعديلاً لقانون «المواطنة» يقضي بترحيل كلّ فلسطيني يحمل الهوية أو الجنسية الإسرائيلية وإبعاده، وأدين بتهم توصف بـ«الإرهابية». ورغم أن ذلك التعديل لا يزال مجرّد كلام على الورق، إلّا أن فرصة تمريره تبدو عالية في ظلّ حكومة فاشية لا توفّر أيّ وسيلة انتقام من الفلسطينيين بعد ضربة 7 أكتوبر. وسيطال القرار، في حال إقراره، مئات الفلسطينيين القاطنين داخل الخط الأخضر والقدس المحتلة، علماً أنه كان قد بدأ الحديث عنه منذ الإفراج عن الأسيرين ماهر يونس وابن عمه كريم يونس من منطقة وادي عارة، اللذين أمضيا أكثر من 40 عاماً في سجون الاحتلال، و«أدينا» بالتسبّب في قتل إسرائيليين. وإذ يُتوقّع الإفراج عن عدد من أسرى الداخل المحتل في حال إبرام صفقة تبادل إضافية مع المقاومة، فإن ما يتمّ الدفع به حالياً يفسّر علوّ بعض الأصوات الفلسطينية خلال الهدنة الماضية، برفض شمول صفقة التبادل الإنسانية أيّ أسيرة من الداخل المحتل، كي لا تستغلّها إسرائيل لملاحقتها لاحقاً.

وستتيح التعديلات الجديدة، في حال التصديق عليها، لوزير الداخلية، مصادرة حق «المواطنة»، وطرد كلّ شخص أدين بـ«الإرهاب»، سواءً أكان في السجن حالياً أم أنه تحرّر وأنهى محكوميته. وكان «الكنيست» قد صدّق، قبل نحو عام، على قانون يلزم وزير الداخلية سحب الجنسية أو الإقامة من الأسرى، ومن تدّعي سلطات الاحتلال ممارستهم «نشاطات إرهابية» ويسكنون «داخل حدود إسرائيل»، ويتلقون الأموال من السلطة الفلسطينية. كما تشنّ إسرائيل، بين حين وآخر، حملات لمصادرة أموال الأسرى المحرّرين في القدس والداخل المحتل وممتلكاتهم، طالت المئات من هؤلاء، واستُولي فيها على مئات الآف الدولارات الخاصة بهم، وأغلقت عقبها حساباتها البنكية.

وتحظى التعديلات المقترحة بدعم من أقطاب اليمين وأنصارهم، طرد الفلسطينيين المستهدفين إلى الضفة الغربية، هناك إجراءات إضافية أقلّ تعقيداً يجب إنجازها، ولكن سيحتاج الأمر وقتاً حتى يتم طردهم جميعاً»، متابعةً أن «الكرة باتت الآن في ملعب وزير الداخلية، موشيه أربيل، للمضيّ قُدُماً في الخطوة التالية».

كذلك، نقلت عن عضو لجنة الخارجية والأمن وأحد المبادرين إلى سنّ القانون، عميت هليفي، قوله إنه «لا يعقل أن شخصاً في دولة إسرائيل، يحمل من ناحية، جنسية الدولة أو إقامة في الدولة، وفي الوقت ذاته يكون شريكاً في عمليات إرهابية وحشية ضدها».

وأضاف هليفي أن «هذا الأمر يجب أن يتوقّف، وأنا مسرور بأن المعلومات التي كانت مطلوبة من أجل تطبيق القانون الذي مرّرناه قبل نحو عام وصلت. وعليه، يمكن لوزير الداخلية ابتداءً من صباح الغد أن يسحب من مئات الإرهابيين الموجودين في السجن وأولئك الذين تمّ تحريرهم، جنسياتهم الإسرائيلية أو إقاماتهم، ويطردهم إلى خارج دولة إسرائيل». وأفادت صحيفة «إسرائيل هيوم»، بدورها، بتسليم عضوَي «الكنيست»، عميت هاليفي وأوفير كاتس، لوزير الداخلية، قائمة تتضمن أسماء نحو 450 أسيراً فلسطينياً يحملون الجنسية الإسرائيلية، ويتلقون رواتب من السلطة الفلسطينية.

هكذا، وعلى غرار تشريعها، خلال السنوات السابقة، عشرات القرارات والقوانين لسرقة أراضي الفلسطينيين وتعزيز الاستيطان (أملاك الغائب، المحميات الطبيعية، مناطق عسكرية مغلقة... إلخ)، تتوسّع إسرائيل، اليوم، في القوانين الهادفة إلى تهجير الفلسطينيّين، بعد أن شرعت، عام 2010، في سحب المواطنة من آلاف العرب في النقب، تحت حجج مختلفة، واستبدال الجنسية بوثيقة إقامة. وفي هذا السياق، قدم وزير الداخلية الإسرائيلي، في تشرين الثاني الماضي، مذكرة قانون تسمح بسحب الإقامة والجنسية من «مواطنين» إسرائيليين بدعوى «التحريض على الإرهاب أو التعبير عن دعم الإرهاب في وقت الحرب»، وتتيح إسقاط أو سحب المواطنة أو الإقامة بإجراء قضائي في حالات خاصة، تتعلّق بـ«الخيانة» أو «دعم الإرهاب» أو «الانتماء إلى منظمة إرهابية والتحريض على الإرهاب». وتركّز المذكرة (مسودة أولية للقانون يتمّ توزيعها على الجمهور والوزارات الحكومية للتعليق عليها قبل صياغة المسودة النهائية التي تُطرح للتصويت على الكنيست) على استهداف من «حرّضوا على الإرهاب أو أعربوا عن دعم منظمة إرهابية»، خصوصاً في «الفترة التي يتمّ الإعلان فيها عن حالة خاصة في الجبهة الداخلية».

يُذكر أن سلطات الاحتلال شنّت، منذ بدء العدوان على غزة، حملة ملاحقة واسعة شملت اعتقال نحو 103 أشخاص من فلسطينيي الداخل، فيما قدّمت لوائح اتهام ضدّ 44 شخصاً بزعم «التحريض على الإرهاب» و«دعم منظمة إرهابية».

تحظى التعديلات المقترحة بدعم من أقطاب اليمين وأنصارهم

رئيسي: ردّنا على هجوم كرمان ستحدّده قواتنا في الزمان والمكان المناسبين (أ ف ب)

سيطال القرار، في حال إقراره، مئات الفلسطينيين القاطنين داخل الخط الأخضر والقدس المحتلة (أ ف ب)

طوفان الأقصى

بوادر استعدادات أميركية للعدوان
اليمن يدشّن «معركة الفتح الموعود»

ملايين اليمنيين تظاهروا في صنعاء و13 محافظة (أ ف ب)

صنعاء - **رشيد الحداد**

استبقت صنعاء هجوماً عسكرياً محتملاً على اليمن من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا، بتظاهرات شعبية شارك فيها ملايين اليمنيين، أضيفت إلى الاستعدادات العسكرية للمواجهة، وأكدت فيها جهوزيتها للدفاع عن نفسها ضد أي اعتداء أجنبي، ملوّحة بحرب استنزاف طويلة المدى لن تنتهي قبل كسر الهيمنة الأميركية والبريطانية في البحرين الأحمر والعربي وفي المنطقة برمتها. وبعد ساعات من إعلانها من ضفاف البحر الأحمر تدشين «معركة الفتح الموعود والجهاد المقدس إسناداً لطوفان الأقصى»، ردّت صنعاء على التهديدات الأميركية والبريطانية الأخيرة بتظاهرات ضخمة دعا إليها قائد حركة «أنصار الله»، عبد الملك الحوثي، لأول مرة منذ دخول اليمن المواجهة دفاعاً عن غزة. وشهدت العاصمة اليمنية ومختلف المبادين في 13 محافظة واقعة تحت سيطرة حكومة صنعاء، مسيرات مليونية مؤيدة لعمليات القوات البحرية ضد السفن الإسرائيلية. وجدد المشاركون في المسيرات التفويض للحوثي باتخاذ كل الخيارات لردع أي اعتداء أميركي وبريطاني على البلاد، والاستمرار في إغلاق البحر الأحمر في وجه الملاحة الإسرائيلية. كما أكد بيان صدر عن مليونية «ميدان السبعين» جهوزية الشعب اليمني لخوض المعركة إلى جانب القوات المسلحة.

أما «معركة الفتح الموعود»، فتنفّذها صنعاء على عدّة مراحل، بدأت بمنع القوات اليمنية مرور السفن الإسرائيلية والمتجهة إلى موانئ الاحتلال حتى وقف الحرب على قطاع غزة ورفع الحصار المفروض عليه، وفرضها سيادتها على المياه الإقليمية وفقاً للقانون الوطني البحري، وتأمل أن تفضي إلى إنهاء الوجود الأجنبي الأميركي والبريطاني ومَن تحالف مع تلك الدول في البحرين الأحمر والعربي ومضيق باب المندب وخليج عدن، وصولاً إلى إنهاء أيّ وجود أجنبي على الأراضي والجزر اليمنية. وفي إطار تداعيات هذه المعركة، نقلت صحيفة «التلغراف» البريطانية عن مسؤولين أميركيين التعبير عن قلقهم من دخول القوارب المسيّرة المعركة. كما نقلت عن مصادرها القول إن «الحوثيين نشروا لأول مرة زورقاً مسيّراً عن بعد، قبالة سواحل اليمن». وأكدت مصادر في صنعاء، بدورها، لـ«الأخبار»، أن «هذا السلاح الاستراتيجي لم يدخل المعركة بشكل رسمي، وهو أحد أسلحة معركة الفتح الموعود. تملك صنعاء عدداً من الطرازات من القوارب المسيّرة المتطوّرة، والبعض منها بدأت عملية إنتاجه عام 2016، ولم يكشف عنه للعلن إلا في العام الجاري».

وفي الوقت الذي أوشكت فيه القوات الأميركية والبريطانية على الانتهاء من الاستعداد لشن هجوم على اليمن، أكد قائد المنطقة العسكرية اليمنية الخامسة، اللواء يوسف المداني، أن قواته على أتمّ الجهوزية للتعامل بحسم مع «العدوّ الأميركي والبريطاني». واستعرض مسرح العمليات العسكرية الذي يمتدّ من البحر الأحمر حتى الأراضي

> **قوات صنعاء رصدت سفناً حربية دولية تعيد تمركزها في شمال البحر الأحمر وجنوبه**

الفلسطينية المحتلة، معلناً أن «القوات المسلحة اليمنية ستكتب المقدّمات الضرورية للتاريخ المعاصر». وبالتزامن، توعّد وزير الدفاع في حكومة صنعاء، اللواء الركن محمد ناصر العاطفي، بأن ردّ القوات المسلحة على الاعتداء الأميركي على منتسبي القوات البحرية سيكون قاسياً ومتمكناً من مكامن الوجع والألم، وبأساليب قتالية فوق احتمالهم وحساباتهم العسكرية». وأتى ذلك فيما كشفت مصادر عسكرية في العاصمة، لـ«الأخبار»، أن «قوات صنعاء رصدت سفناً حربية دولية تعيد تمركزها في شمال البحر الأحمر وجنوبه، وفقاً لخطة انتشار جديدة، وهو ما يعكس قرب انتهاء الاستعدادات الأميركية والبريطانية لشن ضربات عسكرية ضد قوات صنعاء».

في هذا الوقت، وبإيعاز أميركي - بريطاني، أصدر «المجلس الرئاسي» الموالي للتحالف السعودي - الإماراتي بياناً سياسياً تبرّأ فيه من الهجمات التي تشنّها قوات صنعاء على السفن الإسرائيلية، ووصفها بالأعمال التي «تقوّض الأمن البحري وتعرّض الملاحة الدولية للخطر»، وهو ما أثار سخط العشرات من الناشطين الموالين لـ«الرئاسي»، والذين اعتبروه داعماً لأعمال عدائية ضد اليمن، وقوبل برفض نائب رئيس البرلمان الموالي لـ«التحالف»، عبد العزيز جباري، الذي أكد رفضه المطلق «لشرعنة أيّ عمليات عسكرية ضد اليمن»، وأكد أن الموقف الذي تبنّته حركة «أنصار الله» ضد إسرائيل موقف جامع، داعياً اليمنيين الموالين لـ«التحالف» إلى دعم قرار منع مرور سفن الكيان نصرةً لفلسطين.

لكن رئيس «المجلس الانتقالي الجنوبي»، عيدروس الزبيدي، كرّر عرضه على تل أبيب وواشنطن القيام بدور بارز في حماية المصالح الإسرائيلية في البحر الأحمر ومضيق باب المندب، مقابل دعم مشروع انفصال الجنوب الذي ترعاه الإمارات، زاعماً في كلمة أمام «مجلس العموم» الذي شكله برعاية أبو ظبي الأسبوع الماضي، أن عمليات صنعاء البحرية ضد الملاحة الإسرائيلية في البحر الأحمر «تهدّد الأمن الغذائي الجنوبي». وفي الوقت ذاته، عرضت مليشيات طارق صالح في الساحل الغربي قوارب عسكرية بحرية تجوب سواحل الخوخة ومناطق قريبة من جزيرة حنيش في مهمة لحماية سفن الكيان الإسرائيلي. وأثار ذلك سخطاً شعبياً واسعاً، دفع صالح إلى تبرير الانتشار بأن هدفه حماية السواحل اليمنية والجزر.

من ناحية ثانية، أعلنت شركة «ميرسك» الدنماركية العملاقة للشحن أن سفنها، التي كان من المقرر أن تعبر البحر الأحمر، ستحوّل مسارها نحو رأس الرجاء الصالح في إفريقيا، مشيرة إلى أن «كل المعلومات المتوافرة تؤكد أن الخطر الأمني (في البحر الأحمر) يبقى عند مستوى مرتفع بشكل ملحوظ».

لا توجد لغة غير السلاح لإخراج الأميركيين بالنسبة إلى فصائل المقاومة (أ ف ب)

الاستفزاز الأميركي يحرج بغداد
مهمّة إخراج الاحتلال تتصدّر

بغداد ـ **فقار فاضل**

مع اتساع المواجهة بين قوات الاحتلال الأميركي و«المقاومة الإسلامية في العراق»، والتي سعت رئاسة الوزراء العراقية إلى تجنّبها، كان لا بد لهذه الأخيرة من أن تخرج لتوضح ملابسات ما حدث منذ بداية تلك المواجهة، وموقفها الحقيقي من الوجود الأميركي في العراق، وهو ما فعله الناطق باسمها، باسم العوادي، في حديث إلى «الأخبار»، شدّد فيه على الحاجة إلى حوار عسكري وأمني مهني يستطيع أن يضع خارطة طريق تقود إلى تواريخ محدّدة لإنهاء مهمة «التحالف الدولي».

وأشار العوادي إلى أن «الحكومة سعت منذ اندلاع حرب غزة، للوقوف مع الشعب الفلسطيني، وإدانة الوحشية الإسرائيلية بصورة ظاهرة وقوية، لكنها سعت أيضاً مع كل الأطراف والدول من أجل إيقاف الحرب وعدم توسيع نطاقها لتشمل جبهات أخرى، ولعبت دوراً دبلوماسياً كبيراً في التحذير من مخاطر استمرار الحرب على عموم المنطقة والعراق». واعتبر أن «الحكومة استطاعت أن تحافظ على توازن مواقفها، وعبّرت عن ذلك بصورة صادقة قولاً وفعلاً، بإدانة كل الأفعال التي تتم خارج نطاق الدولة والحكومة»، مضيفاً أنها «اعتبرت أن القرار السيادي (العسكري والأمني) الأول المتعلّق بمصلحة العراق العليا، هو بيد الحكومة العراقية حصراً، وأنها قادرة على القيام بكامل التزاماتها بمنع تحويل العراق إلى ساحة حرب بين فعل وردّ فعل».

وردّاً على مقولة إن الحكومة لم تستطع إيقاف الضربات من مختلف الأطراف، دافع العوادي «بأنها استطاعت تحجيم الأفعال والردود عليها من خلال خطوات سياسية ودبلوماسية وأمنية، وأنه لولا جهود الحكومة، لكانت صور المواجهة مختلفة جداً عما هي عليه الآن من ناحية التصعيد والآثار المترتبة على عموم المنطقة والعراق». ولفت إلى أنه «قبل بدء حرب غزة بشهرين تماماً، ومنذ تاريخ زيارة الوفد العراقي لواشنطن برئاسة وزير الدفاع ورئيس أركان الجيش، تم إخطار الجميع بحاجة العراق إلى مناقشة مهمة قوات التحالف الدولي لمحاربة داعش. وتمّت تسمية لجنة عليا بصورة أولية لإجراء ترتيبات لمثل هذا الحوار، لكنّ التأخير يعود إلى تأزّم الوضع في المنطقة بسبب حرب غزة». وتابع أن «رئيس الوزراء عبّر رسمياً وعلناً مرتين عن أن إنهاء مهمة التحالف الدولي أصبح من أولويات الحكومة خلال المرحلة القادمة. وبدون شك، نحن بحاجة إلى حوار عسكري وأمني مهني يستطيع أن يضع خارطة طريق أو جدولة زمنية متفقاً عليها تقود إلى تواريخ محدّدة للوصول إلى عملية إنهاء مهمة التحالف الدولي لمحاربة داعش، والانتقال إلى عقد الاتفاقات الثنائية السياسية والعسكرية والاقتصادية والاستثمارية مع بقية دول التحالف». وعزّزت هجمات الولايات المتحدة على مقرات أمنية تابعة لـ«الحشد الشعبي» المواقف الرسمية السياسية والشعبية الداعية إلى إنهاء الوجود الأميركي. وفي هذا السياق، يؤكد عضو لجنة الأمن والدفاع النيابية،

> **العوادي: لولا جهود الحكومة، لكانت صور المواجهة مختلفة جداً عما هي عليه الآن**

علي البنداوي، أن «هناك رغبة عراقية خالصة في إنهاء الوجود الأجنبي»، مضيفاً، في تصريح إلى «الأخبار»، أن «حكومة السوداني، ومن خلال اجتماعاتنا معها، باتت عازمة على تطبيق قرار البرلمان بإخراج قوات التحالف، خاصة بعد الأحداث الأمنية الأخيرة».

من جانبه، يرى القيادي في «حركة النجباء»، حيدر اللامي، أن «الاحتلال الأميركي ومن يتبعه لا ينفع معهم سوى القوة. والآن لغة السلاح هي اللغة الحاضرة، ولا توجد لغة غيرها بالنسبة إلى فصائل المقاومة العراقية»، لافتاً، في تصريح إلى «الأخبار»، إلى أن «هناك من يرى أنه بحجة الصالح العام وبناء الدولة والحفاظ على العملية السياسية، يمكن التنازل عن سيادة الدولة وقرارها السياسي والاقتصادي والأمني. ونحن نقول إنه بوجود الاحتلال الأميركي، لا يمكن بناء دولة وتحقيق الأمن والاستقرار». ويتابع أن «كل من يتبجّح بالسيادة ويعتبر المقاومة الإسلامية التي تستهدف قوات محتلة في داخل العراق، جماعات خارج القانون، نقول له إن هذا الاحتلال لا يسمح لكم ببناء دولة قوية وأن تحققوا الأمن والاستقرار. لا بد لكم من أن تفهموا ذلك». ويرى أنه «عندما تعجز السلطة عن أداء مهامها ووظائفها التي في مقدّمتها سيادة البلد، من غير المنطقي أن تقف القوى الشعبية مكتوفة الأيدي بوجود احتلال لا يحترم كرامة الإنسان وسيادة البلد»، معتبراً أن «اتفاقية الإطار الإستراتيجي المبرمة بين الحكومتين العراقية والأميركية مجحفة ولها آثار سلبية على الدولة والشعب، ومع ذلك لم تلتزم بها أميركا». ويطالب الحكومة بالانسحاب من هذه الاتفاقية.

في المقابل، يعتقد النائب السابق في البرلمان، حسن الجنابي، أن «بيانات الحكومة الأخيرة ومواقفها العملية كانت فاعلة، حينما أوضحت بشكل رسمي للإدارة الأميركية أن العراق قادر على حماية نفسه ولا يحتاج إلى وجود مستشارين، ولا قوات قتالية على أراضيه، ولذا أعتقد أن على المقاومة الإسلامية أن تعطي الفرصة للحكومة لإخراج الأميركيين». ويشير، في تصريح إلى «الأخبار»، إلى أن «جميع الاتفاقيات الأمنية مع الجانب الأميركي تحتاج إلى مراجعات عميقة من قبل الحكومة، لأن الظروف تغيّرت ولم يعد العراق بحاجة إلى قوات أجنبية تحميه، بل أصبحت تشكّل خطراً عليه وعلى أمنه في الآونة الأخيرة».

ميدانياً، أعلن «جهاز مكافحة الإرهاب» في إقليم كردستان العراق، أن قاعدة «حرير» الجوية في أربيل، والتي تستضيف قوات أميركية ودولية، استُهدفت بطائرة مُسيّرة مسلحة، أمس، من دون أن يشير إلى ما إذا كان الهجوم أسفر عن قتلى أو جرحى أو أضرار. وفي المقابل، وجّه الجيش الأميركي الشكر للشرطة العراقية لاكتشافها صاروخ «كروز» قبل أيام، قال مسؤول أميركي إنه كان يستهدف قوات أميركية في البلاد.

دمج الأجهزة الأمنية في عدن: ورقة واشنطن لمواجهة صنعاء

أحمد الحسني

يبدو أن مواقف الأطراف الموالية للتحالف السعودي - الإماراتي، من خطوات "أنصار الله" في البحر الأحمر، والتي تستهدف الملاحة الإسرائيلية، بدأت تُترجم على الأرض، وفق الإمكانات المتاحة لدى تلك الأطراف، بعد انسداد الأفق في ما يتعلّق باتخاذ قرارات استراتيجية لتغيير المعادلة القائمة ما بين صنعاء من جهة، والقوى المحسوبة على الرياض وأبو ظبي من جهة أخرى. صحيح أن الخيار العسكري سقط بالنسبة إلى تلك الجهات، وهو في تراجع بالنسبة إلى الولايات المتحدة نفسها، أو على الأقل يتموضع في دائرة الدفاع، وليس الهجوم. غير أن الأوراق الأخرى، السياسية منها والأمنية، فُعّلت مجدداً على وقع التسخين العسكري في البحر الأحمر. ويفسّر لجوء الولايات المتحدة إلى الورقة الأمنية في المحافظات الواقعة تحت سيطرة السعودية والإمارات، حجم المعضلة الحقيقية التي تعانيها الأطراف الموالية لهاتين الأخيرتين، عسكرياً خصوصاً. وجاء قرار التحالف السعودي - الإماراتي، ضمّ التشكيلات والأجهزة الأمنية في إطار جهاز واحد، في ظل تصاعد الدعوات من قبل "المجلس الرئاسي" و"المجلس الانتقالي الجنوبي"، للتحالف البحري الأميركي، من أجل تجهيز هذه القوات بقطع بحرية، للمشاركة في الحرب ضد صنعاء في البحر الأحمر. لكن واشنطن ذهبت، برأي محللين، إلى الخطوات الأكثر واقعية، والتي تقول، من وجهة نظرها، إن فتح معارك عسكرية ضد طرف متماسك تنظيمياً وعسكرياً، من قبل مليشيات متعددة، لن يحقّق الأهداف المرجوّة. وعليه، أتت قرارات رئيس "المجلس الرئاسي"، رشاد العليمي، بدمج الأجهزة الأمنية المتقاسمة والمزدوجة الولاء ما بين الرياض وأبو ظبي، في إطار "الجهاز المركزي لأمن الدولة"، بحيث

> **اللجوء إلى الخيار الأمني جاء بعد فشل إمكانية فتح جبهتي مأرب وتعز**

ينصهر كل من الجهاز المركزي للأمن السياسي وجهاز الأمن القومي والكيانات الاستخبارية الأخرى التابعة لـ"المجلس الانتقالي الجنوبي"، و"قوات حراس الجمهورية" التي يقودها طارق صالح، و"ألوية العمالقة" السلفية، التي يقودها عضو "المجلس الرئاسي"، أبو زرعة المحرمي.

ولعل إخضاع تلك الأجهزة، للعليمي، الذي يُوصف بأنه رجل الولايات المتحدة الأمني الأول في اليمن، يكشف عن توجّه لدى واشنطن للحضور أمنياً في المحافظات الجنوبية، وانتفاء حاجتها إلى الاختباء خلف الدور الذي تلعبه السعودية والإمارات، إذ حسمت واشنطن الخلاف سريعاً حول دمج الأجهزة المشار إليها، والذي كشفت مصادر مطلعة لـ"الأخبار"، أنه كان قد احتدم داخل أروقة "المجلس الرئاسي"، وبين أبو ظبي وواشنطن، وخصوصاً حول من يترأس جهاز مكافحة الإرهاب. وحتى قبيل صدور القرارات، كانت الإمارات تدعم عمار صالح لترؤس الجهاز، غير أن الولايات المتحدة اختارت شلال علي شائع، رغم عدم موافقة جميع أعضاء "الرئاسي" عليه. هكذا، وعلى غرار عملية الهيكلة التي طاولت القوات العسكرية منذ ما يقارب العامين، جاء قرار دمج الأجهزة الأمنية، علماً أن الأولى ظلّت وفق تركيبتها السابقة ولم تُدمج فعلياً، إلا ضمن غرفة التنسيق المشترك.

ومهما يكن مفعول القرارات الأخيرة على الأرض، تبقى ثمة أسئلة بلا أجوبة: هل ستستطيع واشنطن تحقيق إنجاز، سواء في ما يتعلّق بترتيب الأوراق عسكرياً وأمنياً في المحافظات الواقعة تحت سلطة الرياض وأبو ظبي، أو في ما يتعلّق بمواجهة صنعاء؟ وهل لدى الولايات المتحدة متسع من الوقت لحصد مكاسب ميدانية ضد "أنصار الله" بالتزامن مع استمرار المواجهة في البحر الأحمر؟ لا إجابات واضحة إلى الآن، لكن الأكيد أن اللجوء إلى الخيار الأمني جاء بعد فشل إمكانية فتح جبهتي مأرب وتعز، وذلك خلال الأيام الأولى من استهداف صنعاء للسفن المتّجهة إلى إسرائيل. كما أنه أتى في ظل تذبذب موقف الولايات المتحدة بخصوص توجيه ضربات مباشرة إلى أهداف في اليمن.

واشنطن مقتنعة بأن فتح معارك ضد طرف متماسك، من قبل ميليشيات متعددة، لن يحقّق الأهداف (أ ف ب)

طوفان الأقصى

فؤاد السنيورة يمدّ يده متسوّلاً... كالمعتاد

لو كان المقال المنشور في «واشنطن بوست» هذا الأسبوع لسعد الحريري، لقلنا إنه اشترى المساحة ليدلي بدلوه على مسامع صنّاع القرار في واشنطن. لكن معرفتنا بفؤاد السنيورة تكاد تؤكّد لنا أنّ السنيورة (وباسم الشاب) تسوّلا لدى معارفهما ليتحدّثوا باسم العرب عبر صفحات الـ«بوست». تُنشر المقالة في وقتٍ تضيّق فيه صحافة الغرب على وجهات النظر العربيّة المؤيّدة لفلسطين، وتجهد لإيجاد عرب متصهينين، أولئك الذين لا يمانعون

> **السنيورة يدّعي الناصرية، لكنه شديد الإعجاب بالسادات ويريد تصريف طوفان الأقصى على طريقته**

طمأنة «إسرائيل» حول رغبتهم في التصالح مع إسرائيل مهما عظمت وحشيّتها ضد الشعب الفلسطيني.

هناك ندرة لمقالات من عرب تطالب، لا بل تستجدي، السلام مع إسرائيل في صحافة الغرب الصهيونيّة. واضح أن السنيورة هنا يحاول تقديم أوراق اعتماد أمام أحدٍ ما في واشنطن، بعد خروجه خالي الوفاض من سنين خدمته في بيروت. الانتخابات النيابية الأخيرة أظهرت مدى محبّة الشعب للسنيورة وكيف أعطاه شرعيّة الحديث باسم «العالم العربي». أيمكنكم تسمية نائب واحد مدعوم من السنيورة وصل إلى قبّة البرلمان؟ ولا هو.

السنيورة يتسلّح بيد السلام العربية الممدودة منذ قمّة بيروت عام 2002، أي منذ كان معروفاً بوزير الـTVA ويده الممدودة إلى جيوب اللبنانيين. أي قبل عناق كوندوليزا رايس في خضم الحرب عام 2006، والتي همس في أذننا ما يكتبه اليوم علناً في هذه المقالة.

أفظع ما في المقالة (وكلّها شنائع وفظائع) هو أن السنيورة يُطمئن «إسرائيل» أن الشعب العربي لا ينظر إلى حربها ضد الشعب الفلسطيني على أنها حرب ضد الشعب الفلسطيني. يصرّ السنيورة هنا أنّها حرب ضد «منظمة حماس» فقط لا غير. أي إنّ الـ22 ألف شهيد في غزة هم من المقاتلين بما فيهم النسوة والرضّع.

السنيورة يختم مقالته بطلب الشراكة مع «إسرائيل» خصوصاً أنه يزعم أن العرب والإسرائيليّين «على نفس الموجة» بالنسبة إلى التهديد الإيراني.

هذه المقالة سيذكرها تاريخ لبنان كما يذكر شهادات إميل إده وأغناطيوس مبارك في نصرة الصهيونيّة. قد ينال السنيورة عليها جائزة «رجل الدولة» من «مؤسّسة واشنطن» (الذراع الفكريّة للوبي الإسرائيلي). وقد يتلقى عروضاً (هو ومصفّف حروفه الشاب) للعمل في هذا اللوبي أو تلك المنظّمة في العاصمة الأميركية.

في زمن سابق، كان السنيورة يقدّم نفسه قومياً عربياً متأثراً بالحركة الناصرية. لكنّ نسخته الحديثة التي ظهرت إلى الجمهور بعد التحاقه بركب الرئيس رفيق الحريري، جاهر بأنه جزء من مشروع يستهدف الازدهار والنمو ربطاً بالتسوية المنتظرة.

المثل الأعلى للسنيورة، هو أنور السادات وليس عبد الناصر. وهو عندما يقارب ملف الصراع مع إسرائيل الآن، يفعل ذلك بالطريقة نفسها. فهو مثلاً، أطلق يوم 8 تشرين الأول الماضي، موقفاً حول عملية «طوفان الأقصى» في حديث مع قناة تلفزيونية مصرية قائلاً: «إن عملية طوفان الأقصى هي تعبير حقيقي من الفلسطينيين، بأنه لم يعد بإمكانهم السكوت عما يجري وعن ابتلاع حقوقهم التي اعترفت بها القوانين الدولية، مشدّداً على أن هذه العملية بمثابة إنجاز كبير على غرار ما حقّقته مصر وسوريا في حرب 73».

وبناءً على قراءته «البعيدة النظر» وجد السنيورة أنه يمكنه الإشادة بالعملية من خلال وصفها بعمل كبير، لكنه سارع إلى استثمارها في ما ينشده منذ زمن بعيد، بأن طلب السلام مع إسرائيل.

مشكلة فؤاد السنيورة في ما قام به، ليس في أصل موقفه فقط، بل في طريقة تفكيره وكيفية فهمه لما يجري. وهو الذي يسخّف مثلاً دور المقاومة في لبنان، ولا يرى من داع لمواجهة العدو، فإنه يخاطب إسرائيل بأنّ تتصرف على أن من قام بعملية 7 أكتوبر، إنما يستهدف السلام معها...

السنيورة ابن بار لهذه المدرسة، وواضح أنه بعد تقاعده القسري من العمل السياسي العام عندنا، يسعى إلى دور إضافي ولكنه ينشده هذه المرة من وراء البحار...

خذوه، مبارك عليكم.

العالم العربي يمدّ يده لإسرائيل. هل سترتدّ بالمثل؟

فؤاد السنيورة وباسم الشاب

لا بدّ من أن تُشكّل النهاية النهائية للحرب التي تشنها إسرائيل في غزة حافزاً للسلام الشامل مع العالم العربي على أساس حلّ الدولتين. إن الفرصة لتحقيق سلام حقيقي وواسع النطاق هي فرصة حقيقية لا ينبغي أن تحجبها ضبابية الحرب، وحيث يجب أن لا يقتصر الحوار حول المستقبل على التداول بمستقبل غزة، بل أن يكون السلام شاملاً، إذ يتم الاتفاق على التوصل إلى حلّ كامل وعادل ودائم وناجز للقضية الفلسطينية.

لقد كان العالم العربي على استعداد لصنع السلام منذ أن جرى اقتراح مبادرة السلام العربية في بيروت عام 2002. ولا يزال هذا الالتزام حياً إلى يومنا هذا، ولذلك يتعين على إسرائيل أن تغتنم هذه الفرصة، وذلك يمكن أن يؤدّن بدخول منطقة الشرق الأوسط في عصر وزمان جديدين يسود فيهما السلام والاستقرار وتحقيق النهوض.

إنّه، ورغم ضراوة ووحشية القصف والخسائر الفادحة التي تحصد أرواح عشرات الألوف من المدنيين الأبرياء، وغيرهم أكثر بكثير من الجرحى والمكلومين في غزة، فإنّ هذا الصراع يظلّ محصوراً، وإلى حدٍّ كبير- وحتى الآن- بكونه مواجهة إسرائيلية - فلسطينية، وبشكل أكثر تحديداً، فإنّ هناك وعلى نطاق واسع في العالم العربي مَن يعتبره على أنّه لا يزال صراعاً ما بين إسرائيل وحركة «حماس»، والتي هي ليست بدولة ولا تُختصَر منظمة التحرير الفلسطينية بها. وهذا أمر مهم، خصوصاً أن الوضع في الضفة الغربية لا يزال مضبوطاً حتى الآن رغم أنه قابل للاشتعال.

■■■

في الردّ على الفظائع التي ترتكبها إسرائيل في غزة، فقد التزم العالم العربي بالرد عليها بالإدانة، ولكن الأهم من ذلك، في أنه لا يزال يلتزم بالطرق الدبلوماسية، وبالتالي لم تصدر أي تهديدات عسكرية من أي دولة عربية تجاه إسرائيل. وفي هذا السياق، فقد حدّد العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني مؤخراً الخطوط العريضة للحل السلمي للصراع العربي- الإسرائيلي في مقال افتتاحي نشره في صحيفة «واشنطن بوست».

...

أما في لبنان، فلا يزال المسؤولون الحكوميون اللبنانيون، وكذلك الأكثرية الساحقة من اللبنانيين، يعارضون التصعيد ويرفضون انزلاق بلدهم نحو حرب مدمرة.

صحيح أن هناك صراعاً محدود الحدّة ومضبوطاً مع حزب الله ولا يزال الاشتباك مستمراً بينه وبين إسرائيل، وصحيح أن هناك احتمالات في أن يتصاعد هذا الصراع نحو حرب مدمرة، وذلك ما لم تتدخل الدبلوماسية الأميركية النشيطة لقطع الطريق على الانزلاق نحو الحرب، وبالتالي لا يزال من الممكن تجنّب حرب أوسع نطاقاً.

قبل 7 تشرين الأول/ أكتوبر، اتفقت «إسرائيل» وحزب الله بشكل ضمني على قواعد اشتباك، بما أبقى حدود إسرائيل مع لبنان هادئة نسبياً، وبالتالي شهدت تلك المدة قيام حزب الله بتسهيل عقد اتفاق بحري مع «إسرائيل» لتحديد حدود المنطقة الاقتصادية الخالصة بين البلدين. وفي هذا الصدد أيضاً، تشير تصريحات الأمين العام لحزب الله، السيّد حسن نصرالله، والمرشد الأعلى الإيراني، علي خامنئي حتى الآن، إلى أن إيران وحزب الله ليسا على استعداد لذهابا بعيداً في دعم «حماس». صحيح أنّ «حزب الله» يشكل خطراً حقيقياً على إسرائيل، ولكنه لا يشكل تهديداً وجودياً لها.

إن تصنيف التهديد على أنه غير وجودي لا يعني استبعاده أو عدم بالفعل سوى نتيجة للتطرف القاتل وللديبلوماسية الفاشلة والتواطؤ الغربي الذي ساد على مدى العقود الثلاثة الماضية، ومنذ مؤتمر مدريد واتفاق أوسلو، وبالتالي، فإنّ تمنيات إسرائيل بأن الوقت سوف يؤدي إلى تآكل ما تبقّى من هوية للفلسطينيين وتطلّعهم وتصميمهم على أن يكون لهم وطن ودولة مستقلة. لكن الحقائق على الأرض أثبتت أنّ هذا الاعتقاد كان خطأً كبيراً، وأنّ القضية الفلسطينية غير قابلة للتصفية. ورغم أن العدد الكبير من القتلى الذي سقط في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر قد أقنع الإسرائيليين بأنهم معرّضون للخطر عسكرياً، فإن ضعفهم الحقيقي لن يختفي ويزول من دون التوصل إلى تسوية سلمية عادلة ومنصفة للصراع العربي- الإسرائيلي.

لقد صرّح الرئيس بايدن في مقال افتتاحي في صحيفة «واشنطن بوست» بشكل قاطع بأن «حل الدولتين هو السبيل الوحيد لضمان الأمن والسلام على المدى الطويل لكل من الشعبين الإسرائيلي والفلسطيني»، مع أنه كان من الممكن للرئيس بايدن أن يضيف: «وكذلك للمنطقة بأكملها».

إننا نعتقد أن بد العالم العربي ممدودة إلى إسرائيل. ومن المفيد للقيادة الإسرائيلية التي يُفترض بها أن تتمتع ببُعد النظر والحكمة والتبصّر أن ترد بالمثل، وأن تبدأ العمل مع شركائها على صياغة سلام حقيقي دائم عادل وهادف ومنصف.

تنوّع أميركي بنكهة الفانيلا

جمال غصن

قدّمت رئيسة «جامعة هارفارد» الشهيرة استقالتها من منصبها، بعد حملة شنّها عليها خدمُ «إسرائيل» في الكونغرس الأميركي. عنوان الحملة التي أدّت إلى دفع كلودين غاي إلى الاستقالة كانت السرقة الأدبية في رسالتها ومنشورتها الأكاديمية، ولكن من شنّ الحملة لم يكونوا زملاء لها في الأكاديمية حريصين على نزاهة المؤسسة، بل خصوم من أهل السياسة في واشنطن. بدأت الحملة عندما رفضت غاي ورؤساء آخرون من جامعات النخبة الأميركية التضييق على «حريّة التعبير» في الجامعات عندما أُوعز إليهم، وإلى كلّ من يريد أن تبقى واشنطن راضية عنهم، قمع الأصوات المناصرة لفلسطين. ذروة المواجهة كانت في جلسة استماع في الكونغرس لرؤساء «هارفارد» و«جامعة بنسيلفانيا» و«معهد ماساشوستس للتكنولوجيا» الشهر الماضي، صدّق فيها الأكاديميون ادّعاءات دستور بلادهم بكلّ براءة وعاندوا سياسيّيها، فخرجوا من الجلسة أهداف قنص سهلة للقوى الفعلية في المؤسسة الحاكمة. سقطت ليز ماغيل، رئيسة «بنسيلفانيا» أولاً، ثمّ تلتها غاي، وما هي إلّا مسألة وقت حتى لحقت بهما سالي كورنبلوث. طبعاً، الجامعات الثلاث المذكورة هي بين الأوائل في تخريج المتغطرسين، وليس كلّ رؤساء الجامعات الأميركية أشباه النساء المذكورات. كثرٌ هم الخانعون وزايدوا على الكونغرس الأميركي في كمّ الأفواه، وأفواههم هم حتّى، كما شاهدنا في راس بيروت حيث دُعِرَ الرئيس وغلمانه عند سماعهم هتافاً باسم محمّد الضيف داخل أسوار الحرم الجامعي. في النسخة المصرية من الصرح التعليمي الأميركي، وصف رئيس الجامعة، أحمد دلّال، الإبادة في غزة إبان مجزرة المعمداني بـ«الأزمة الجيوسياسية الدائرة»، من دون ذكر «إسرائيل» حتّى، وصمت عن «الأزمة» مذّاك.

اللافت في حالة كلودين غاي هو أن «جامعة هارفارد»، قبل أن تلقي بها إلى الأسود، كانت تحتفي بغاي كأوّل امرأة سوداء تترأس الجامعة، عندما تسلّمت مهماتها منذ ستة شهور فقط. في الولايات المتّحدة،

> **صدّق الأكاديميون ادّعاءات دستور بلادهم بكلّ براءة وعاندوا سياسيّيها**

يحبّون التباهي بالتنوّع العرقي والثقافي الذي يشكّل التركيبة الأميركية، وبأن الكلّ قادر على الوصول إلى أعلى المناصب بغضّ النظر عن خلفيّته. هذه الدعاية تتكرّر على كلّ المنابر وفي كلّ المستويات. فبعد أن كُرّست المساواة بين الجنسين بوصول المرأة إلى كل الوظائف إلّا مكتب الرئاسة في البيت الأبيض، وإن كان بمعاشات أدنى من أقرانهن الرجال، ها هي الأعراق والهويّات والجنادر كافّة تحقّق اليوم ما كان في يوم من الأيّام حكراً على الرجل الأبيض. هذا ما يجعل أميركا عظيمة وفقاً للسرديّة التي يجب أن تُردّد دائماً وفي كل مكان لغاية في نفس العم سام. الغاية هي أن التنوّع المزعوم أكبر كذبة أنتجتها «هوليوود»، وأن التنوّع الهويّاتي ليس إلّا غطاء للتطابق السياسي الذي يحكم مركز الإمبراطورية الأميركية.

ما تقوله أميركا العظمى لكلودين غاي وأمثالها، هو أنه في إمكانك كامرأة سوداء أن تشغلي منصب الرجل الأبيض، لا بل يهمّنا أن تشغليه لنتباهى بهويّتك، لكنّ عليكِ أن تتركي ثقافتك وسياساتك وقناعاتك وجنسك وعرقك في الخارج. نعم، يمكنك يا باراك حسين أوباما أن تكون رئيساً للبلاد، شرط أن تشنّ حروب الرجل الأبيض، ليس فقط حول العالم، بل أن تشهد على أكبر انتفاضة ضد القمع البوليسي لبني عرقك في بلادك وتصطف مع القاتل.

تنسب الفانيلا في الثقافة الأميركية إلى كلّ ما هو باهت أو بلا طعم، رغم أن في ذلك ظلماً كبيراً لعود الفانيلا ومستخلصه ذي النكهة الزكية (والثمن الباهظ إن كان طبيعياً). كما تنسب الفانيلا زوراً إلى اللون الأبيض، وهو ما يعود إلى ارتباطها التاريخي بنكهات البوظة، حيث الفانيلا نقيضة الشوكولا. تريد الولايات المتّحدة أن توهم شعبها قبل العالم أنها نتاج خليط من الشعوب والألوان والنكهات، أنها طبق «راتاتوي»، ولكنها في الحقيقة وباء عنصري استعماري من صنف وفكر واحد. لا تغشّنكم ألوان نخب الأميركيين والمتأمركين المتنوّعة... إذا لم تلفظهم واشنطن، ذلك لأنهم كلّهم فانيلا.

ساحاتنا بطولات... وساحاتهم غدر

معن بشور *

بعد أن اتضح للعدو ولحلفائه أنّ شعار «وحدة الساحات» لم يكن شعاراً خطابياً يُطلق في المناسبات، بل بات مترجماً في ملحمة «طوفان الأقصى» إلى عمليات بطولية، تمتد من غزة إلى عموم فلسطين، إلى جنوب لبنان، إلى القواعد الأميركية في العراق وسوريا، إلى البحر الأحمر وباب المندب، إلى الشوارع العربية والشوارع المتلئة بأحرار العالم... ظنّ الصهاينة، ومن ورائهم المخابرات الأميركية والغربية، أنهم يستطيعون أيضاً أن يفتحوا «وحدة ساحاتهم». فاختاروا يوماً ذا دلالات في حياة مقاومتنا العربية والإسلامية للمشروع الصهيوني الأميركي، وهو يوم اغتيال الشهيد القائد قاسم سليماني ورفيقه أبو مهدي المهندس، ليشنوا عمليات إجرامية على امتداد ساحات المقاومة، فيستمروا في وحشيتهم في غزة وعموم فلسطين، ويستمروا في مواجهتهم في لبنان عبر المعارك المحتدمة في جنوبه، ثم اغتيال الشهيد القائد الكبير الشيخ صالح العاروري ورفاقه في قلب عاصمته. إلى سوريا التي يمطرها العدو بين اليوم والآخر بصواريخ من طائراته محاولاً أن يستكمل الحرب عليها بحروب متواصلة، وصولاً إلى كرمان الإيرانية، حيث استُشهد أكثر من مئة مواطن إيراني يزورون ضريح الشهيد سليماني. وصولاً إلى اليمن حيث استهدفت البحرية الحربية الأميركية شجعان اليمن بعملية أدّت إلى استشهاد بعض أبطالهم.

إنّ وحدة الدم العربي-الإسلامي التي تأخذ كل يوم بعداً جديداً في حياة أمّتنا وفي تاريخها المعاصر، تشكّل رداً مؤهلاً، لا لطرد الاستعمار من بلادنا فقط، ولا لهزيمة الكيان الصهيوني في فلسطين فقط، بل أيضاً لتكون مناسبة لإشعال ثورة على مستوى

> **ينسون أنّ دماء شهداء أبناء الأمّة والإقليم لم تؤد يوماً إلّا إلى إشعال لهيب المقاومة**

العالم تطرد كل استعمار وكل استغلال وكل استبداد.

وكم يخطئ مرتكبو المجازر والمحارق والاغتيالات حين يظنون أنهم بحرب الإبادة التي يشنّونها، والدماء التي يسفكونها من عروق أبناء أمّتنا العربية والإسلامية الممتدة من فلسطين إلى لبنان، إلى اليمن، إلى سوريا، والعراق وإيران، هم قادرون على إطفاء جذوة المقاومة في الأمّة، وينسون أنّ دماء شهداء أبناء الأمّة والإقليم لم تؤد يوماً إلّا إلى إشعال لهيب المقاومة في عالمنا العربي والإسلامي، بل على مستوى العالم كله.

وحين تحتشد عشرات الملايين لتشييع الشهداء في عواصم ومدن الإقليم كافة، ومعهم مئات ملايين الأحرار في العالم، فذلك مؤشر على أنّ ساعة النصر لم تعد بعيدة، وأنّ قوافل الشهداء قناديل نور وضياء تشق لهم الطريق وتنيرها أمامهم.

إنّ وحدة الدم العربي-الإسلامي التي تروي تربة المقاومة في كل أرضنا، هي الرد الأفعل على جرائم العدو وحلفائه وأتباعه، بل هي الدعوة لكي نتجاوز كعرب ومسلمين كل الخلافات والصراعات والفتن المدمّرة التي عشناها، وما زالت آثار بعضها موجودة، والتي كان العدو يسعى إلى استثمارها واستغلالها في حربه المستمرة على أمّتنا والإقليم منذ عشرات السنين.

الرحمة والخلود لشهداء غزّة وعموم فلسطين، وجنوب لبنان، وشهداء سوريا والعراق واليمن وصولاً إلى شهداء كرمان في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، والنصر للمقاومة نهجاً وثقافة وعملاً.

* الأمين العام السابق للمؤتمر القومي العربي

طوفان الأقصى

العرب والغرب بعد حرب الإبادة في غزة

(أ ف ب)

أسعد أبو خليك *

في الوقت الذي يقومُ به عربُ التطبيع (مثل فؤاد السنيورة) بالتملّق لإسرائيل وطمأنتها أنّ لا الاستسلام ستظلّ مطروحة لها، تطرح الحرب على غزة جملة من التساؤلات عن علاقة العرب بالغرب. والعرب عربان، أو أكثر، لكنّ هناك طبعاً فارقاً بين الرأي العام العربي وبين آراء طغاة التطبيع الذين يقودون الجامعة العربيّة ويتحدّثون، زوراً، باسم كل العرب. نظام العرب الرسمي يعتبر أن محمد بن سلمان هو زعيم العرب، والكلّ يسجد له لأنّ الإعلام والأعمال والفن، والشباب الـ«كول»، مسخّرون له (مقابل أجر أو منفعة ماديّة)، لكن العرب من الناس يعتبرون يحيى السنوار زعيمهم من دون منازع. تكفي الهالة التي تحيط بـ«أبو عبيدة» منذ بدء الحرب كي ندرك الفارق بين الوعي المفروض والوعي العفوي التلقائي (غير الخاضع لتوجيهات حاشية المحمدين).

كشف الغرب عن وجهه الحقيقي في الحرب على روسيا، لكنه كشف أكثر عن وجهه في الحرب الإبادية على غزة. ما الذي تغيّر في الغرب عن السابق؟

1) لم يعد من الممكن للبيراليّين العرب أن يقنعونا أن هناك فروقات بين دول الغرب، وأن هناك عاقلين بينهم وأنه من الظلم الحضاري، والعنصري، وضع الغربيّين كلّهم في سلّة واحدة. لكن الغربيّين هم الذين يضعون أنفسهم في سلة الـ«ناتو» الواحدة، وهم يتنافسون للانضمام إليها. وحلف شمال الأطلسي ليس إلا النادي الحربي التابع للإمبراطوريّة الأميركيّة. سيوسبا حظرت تمويل جمعيّات عبّرت عن تعاطف مع شعب فلسطين، والإعلام الألماني والبريطاني يطرد أي موظّف يتعاطف مع فلسطين، الحكومة الألمانيّة نسيت الوعود الديموقراطيّة النظريّة كي تحظر الآراء المزعجة لإسرائيل، وماركون يريد تشكيل جبهة عالميّة لمحاربة «حماس». الغرب هو حلف شمال الأطلسي الذي كان أوّل من جاهر قائده بعد الحرب الباردة بالقول إن الإسلام بات العدوّ الجديد له بعد الشيوعيّة. والحرب في أوكرانيا منعت أي دولة أوروبيّة، لو أرادت، من الاعتراض على الانصياع. أميركا لم تعد تسمح حتى بالاعتراض الشكلي. الغرب جيش متراص يأمره الأميركي. زلّ لسان رئيس الحكومة الكندي قبل أسابيع ولفظ عبارة «وقف النار» لكنه سرعان ما صحّح قوله خشية إغضاب الآمر الأميركي.

2) لم يعد بمستطاع الغرب وعظنا بضرورة نبذ العنف على أنواعه، بما فيه ما يمكن أن نتفق على تصنيفه بالإرهاب. نعلم بالقاطع اليوم أن دعوات اللاعنف من جمعيّات عربيّة ممَوّلة من الغرب ليست إلا مساهمة في المجهود الحربي الإسرائيلي. إن الحكومة الأميركية سارعت بعد ساعات من الاجتياح الروسي ضد أوكرانيا إلى الدعوة إلى الرد بعنف شديد، وبكل الوسائل العنفيّة، ضد روسيا. لم يكن هناك أي تمييز بين أهداف مدنيّة أو عسكريّة، وحتى اغتيال ابنة مفكر روسي لقيت ترحيباً في الإعلام الغربي. عقود من المعاناة الفلسطينيّة ولا يزال الغرب يحرم الشعب الفلسطيني من حقّه البديهي في الدفاع عن نفسه. كل دعوة إلى السلم أو اللاعنف أو المعارضة المدنية ستلقى السخرية من العرب والتقريع.

3) إمكانيّة رعاية الغرب لمسيرة سلمية مراوغة، بين العرب وإسرائيل، ستصطدم بجدار المواقف الغربيّة المُشاركة في العدوان على غزة. هناك قوّات غربيّة من بريطانيا وكندا وأستراليا وأميركا وألمانيا شاركت على الأرض في عمليّة الإبادة في غزة (أميركا زعمت أن مسيّراتها كانت تطير فوق غزة فقط للبحث عن الرهائن). وحكومة الدانمارك تهدّد «أنصار الله» في اليمن وشاركت في التحالف الغربي ضدهم.

4) فقد الغرب حظوته النظريّة بالبروز بمظهر ممثّل حضارة غربيّة متفوّقة تصرّ على حرية تعبير مطلقة وعلى المساواة بين المواطنين. من فرنسا إلى ألمانيا إلى أميركا، هناك حملات مكارثيّة ظالمة ضد مظاهر التعبير المناصر لفلسطين والمناهض لإسرائيل. لقد أعادوا صوغ تعريف سياسي (باطل) جديد لمعاداة السامية من أجل كبت أصوات فلسطين في الغرب برمّته. هؤلاء لم يعودوا يستطيعون أن يعقدوا ورشات العمل والمؤتمرات عن حريات التعبير وقبول الآخر في عواصمنا العربيّة. حملة «جو سوي» تبدو بلهاء كلياً اليوم بعد عمليات الاغتيال التي طالت عشرات الصحافيّين في غزة والضفة (هي كانت حملة بلهاء وعنصريّة وشنيعة في يومها، بكفي أن تتذكّر الأصوات اللبنانيّة التي شاركت فيها). الغرب هو إسرائيل وإسرائيل هي الغرب. التمييز يبدو ساذجاً من قبل الغرب. هم أرادوا التماهي مع إسرائيل ومصلحتها ويجب أن يتحمّلوا ثمن ذلك لآجيال لاحقة.

من المبكر رسم صورة التغييرات التي ستلحق بالعالم العربي بعد النكبة الجديدة. هناك وجهة نظر سوداويّة (وصهيونيّة) تقلّل من إمكانيّة حدوث تغييرات في السياسة العربية لأن المحمدين يمسكان بمفاصل النظام العربي الرسمي، وبالتشارك مع حلف شمال الأطلسي. وليس دقيقاً الاستعارة من العالم العربي الذي تولّد من النكبة الأولى كي نعقد مقارنة ونتنبّأ بالمستقبل. الظروف تختلف والزعامات تختلف ودور الدول يختلف، وبدلاً من عبد الناصر ومحمد حسنين هيكل لدينا محمد بن سلمان وتركي آل الشيخ. العراق وسوريا وليبيا ولبنان معطلون بالكامل كدول، ومجتمعات. أنظمة الخليج باتت هي الممثّل الشرعي والوحيد للعرب أمام الغرب المُقزز. ولا يمكن الحكم على نتائج الحرب قبل ختامها. غزة المقاومة ستُعيد تشكيل العالم العربي، وستبرز قيادات «حماس» كالوريثة الشرعيّة للزعامة في العالم العربي. في المقابل، إنّ النظام العربي الرسمي سيتركّب نتائج الحرب بشوق كبير: كان يتوقّع من الحليف الإسرائيلي أن يقضي على «حماس» بالكامل، وأن يدلّ قادتها أمام الكاميرات. وعدوّ إسرائيل هو العدوّ الأول للمحمدين. أمّا سيناريو فوز «حماس» وخروج قادتها من الحصار للاحتفال بالنصر أمام جمهور غزة سيدفع المحمدين لتصفّح المؤازرة وسيفقدان المال لإعمار غزة كي تسكت «حماس» على صهيونيّتهما (ولـ«حماس» تاريخ مؤسف في السكوت عن عداء نظام المحمدين وعلى إجرامهم ضد «حماس». بالكاد اعترضت «حماس» على اغتيال المبجوح في دبي).

العرب سينظرون إلى الغرب نظرة مختلفة بعد غزة. سيكون هناك نتائج انتقاميّة للحرب. ستتعرّض مصالح دول غربيّة إلى الضرر والإيذاء المقصود، كما أن قدرة دول الغرب على نشر دعايتها السياسيّة الترويجيّة ستضعف وتعاني. هذا يعني أن دول الغرب ستحتاج إلى زيادة منسوب الضغط، وحتى العنف، ضد شعوب المنطقة، لفرض إرادتها. لكن الواقع العربي محبط كما أن استكانة سياسيّة تعمّ في العالم العربي، والغضب ضد إسرائيل لم يُترجم شارعيّاً أو عنفيّاً بعد. حدوث ذلك يبدو محتملاً لأن الشعب العربي في عام 1948 لم يز مشاهد النزوح واللقاء إلا بعد أسابيع من حدوثها وبصور بالأبيض والأسود غير واضحة المعالم. اليوم كل عربي هو شاهد على النكبة الجديدة.

لا يمكن أن ينظر العرب إلى حضارة الغرب (إذا كان المصطلح جائزاً في عصر التلاقح والهجرة والاستبلاء الغربي على عقول الدول النامية) على أنها حضارة منزّهة أو محايدة. حتى العلوم ليست محايدة. سارعت شركة «فايزر»، مثلاً، إلى إيصال الدفعة الأولى من لقاح كورونا إلى إسرائيل، قبل أي دولة في العالم النامي (وقبل كثير من دول الغرب). واعترف نتنياهو بأن أولويّة إسرائيل على غيرها من دول العالم النامي كان بسبب التواصل والتفاهم الصهيوني والديني مع رئيس الشركة. ووكالة المخابرات الأميركيّة نظّمت حملة تلقيح مزيّفة في باكستان وذلك من أجل الوصول إلى ابن لادن وأخذ عينة من حمضه الجيني (حتى الساعة، لا يزال الناس في باكستان ينظرون بعين الريبة إلى اللقاح الأجنبي. أي إن اللقاح المزيّف تسبّب بموت كثيرين ممن أخافهم التلقيح). الجامعات الغربيّة كانت جوهرة دول الغرب بنظر العرب. اليوم، أسفرت الجامعات عن وجه سياسي وقح. حتى رؤساء مستشفيات بحثيّة هنا أدلوا برأيهم في الصراع العربي الإسرائيلي، وإلى جانب وحشيّة إسرائيل طبعاً. يعلم العربي الذي يلتحق بالجامعات الغربيّة أنه سيكون ممنوعاً من التعبير بحريّة كما حاله في بلاده العربيّة. أساتذة جامعة جورجتاون حذّروا تلاميذهم من ارتداء الكوفيّة الفلسطينيّة لأنها قد تعرّضهم للأذى الجسدي. ثلاثة طلاب عرب في مدينة برلنغتون الوادعة في ولاية فرمونت تعرّضوا لإطلاق رصاص فقط بسبب ارتدائهم للكوفية والحديث بالعربيّة. الغرب صدّر حروبه وباع بضاعته لنا عبر الاتكال على سمعة العلم والمعرفة في الغرب.

المشروع السياسي الغربي أعلن مشاركته الفعليّة في الحرب ضد الشعب العربي في غزة. لا ينفع بعد اليوم الانتقاد الموسمي للمستوطنات أو التوبيخ اللطيف لوزيرين عنصريّين في حكومة العدوّ. الغرب وإسرائيل هما واحد في الحرب في غزة. والإعلام لا يدع مجالاً للشك حول الاندماج الغربي الإسرائيلي بعد 7 أكتوبر. المثقّفون العرب بعد غزة سيضطرّون إلى تحديد موقفهم من المشروع السياسي الغربي. المنضوون في خانة النظاميّ السعودي والإماراتي سيمضون في تبنّي خيارات أولي الأمر الذين يثقون بهم بصورة عمياء: هؤلاء هم كتّاب الذين دعوا إلى الجهاد ضد اليهود عندما دعاهم أولو الأمر، وهم أنفسهم الذين دعوا إلى التطبيع مع إسرائيل عندما دعاهم نفس أولي الأمر، أو أولادهم. على الغرب أن يختار بين إسرائيل وبين العرب، وهذا الخيار يمكن أن يصبح المشروع السياسي العربي في التعاطي مع الغرب. لكن ذلك يحتاج إلى تحدّي الأنظمة التي يرزح تحت حكمها كل عربي (خارج لبنان).

العلاقة الحديثة بين العرب والغرب تأسست في سلسلة من الخداع والرياء: من مراسلات الشريف حسين وماكماهون إلى تقسيمات سايكس بيكو إلى وعد بلفور ووعود أخرى كاذبة من الحكومة البريطانيّة قبل النكبة. بعد الحرب العالمية الثانية تولّت الحكومة الأميركيّة الخداع والمراوغة بالنيابة عن الغرب وإسرائيل (كتاب رشيد الخالدي عن الدور الأميركي في تاريخ «مسيرة السلام» يحمل عنوان «وسطاء الخداع»). قدرة الحكومة الأميركيّة على الكذب والخداع مدعومة من قبل طغاة العرب الراضخين بالكامل للمشيئة الأميركيّة (الرئيس التونسي نجح في حملته الانتخابيّة عبر استغلال العداء الشعبي للتطبيع مع إسرائيل، لكنه لا يزال يعطل رغبة البرلمان في تجريم التطبيع مع إسرائيل). لكنّ غزة مرشّحة كي تطيح بالنظام العربي الرسمي، إلا أن ذلك يحتاج إلى إرادة شعبيّة وفعل (خارج مواقع التواصل).

لا يمكن النظر إلى النموذج الغربي بنفس العين بعد غزة. لا نتحدّث هنا عن حد صغير من النقد تحت عنوان «المعايير المزدوجة». المعايير ليست مزدوجة بل ثابتة وواضحة. حياة العرب لا تساوي حياة الإسرائيليّين، والحريات الأكاديمية والشارعيّة مضمونة إلا إذا أزعجت الحركة الصهيونيّة في كل بلد عربي. نحن على أبواب حظر رسم البطّيخ في عدد من الدول لأن الصهاينة يعترضون عليه (تعرّضت ابنة الممثل بن عفلق والممثّلة جنيفر غارنر إلى حملة لئيمة لأنها ارتدت قميصاً عليه رسم بطّيخ على شكل خريطة فلسطين التاريخيّة). إدوارد سعيد عاب على العرب في آخر قسم «الاستشراق» أنهم لم يدرسوا الغرب بما فيه الكفاية. اعتقد أن العرب، في القرن الحالي، يفهمون الغرب أكثر بكثير مما يعرف الغرب عن العرب، وصورة العرب عن الغرب مركّبة وشاملة بالمقارنة.

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

الحياد غير المحايد!

سعد الله مزرعاني *

تراجُعٌ، نسبياً، الموقفُ أو الموقع المحايد، بشأن الصراع الذي عنوانه، منذ ثلاثة أشهر، غزة. السبب الرئيس، المجازر الصهيونية البربرية ضد أهلها وكل أشكال الحياة فيها، وكذلك بسبب صمود هؤلاء المدهش، بالتلازم مع بطولات مقاوميها الذين سطّروا مآثر وملاحم قلّ نظيرها! ينطلق قسم غير قليل من المواطنين، في التعبير عن رغباته بشأن ما يحدث من صراعات وأزمات داخل لبنان، أو في محيطه، من موقع «طلب السترة». الهاجس الرئيس في ذلك خوف وقلق من أن تؤدي المواقف، بشأن الأزمات، إلى ما يزيد معاناة المواطنين في تدبُّر شؤون ومستلزمات حياتهم وحياة عائلاتهم على المستوى الاقتصادي والخدماتي والتربوي والصحي. هم كابدوا نتائج وتبعات الانهيار لمدة تزيد عن أربع سنوات. وهي نتائج كارثية، بعد أن أقدمت قوى السلطة الأساسية، ومصارفها، وبنكها المركزي، على نهب مدخراتهم وودائعهم ورواتبهم من دون رحمة أو حدود.

أن يطلب أحد «الحياد»، بمعنى عدم تعريض حياته لمزيد من المصاعب والآلام، أمر طبيعي وبشريّ. ذلك، بالضرورة، سيدخل، بهذا القدر أو ذاك، في حسابات الجهات التي تأخذ بناصية القرار، أو تشارك فيه. بيد أن ثمة من يطالب بـ«الحياد» ليس للابتعاد عن أتون الأزمات وكوارثها، بل كشكل من أشكال الانخراط فيها بما يخدم، مباشرة أو مداورة، مصلحة أحد الأطراف فيها! إننا هنا، نناقش هذا الموقف، أو نناقش أصحابه، بما في ذلك العاصمة، ثم فرض اتفاقية إذعان عليه حملت اسم «17 أيار».

المشروع الصهيوني، هو الذي شحن «الصيغة اللبنانية»، غالباً، بعناصر التوتر والتفجير. كان ذلك في الماضي. وهو مستمر اليوم، عبر استمرار احتلال أراض لبنانية وانتهاك سيادة لبنان، جواً وبراً وبحراً، وعبر السطو على جزء من حقوقه البحرية واستهدافه بالعمليات الأمنية وآخرها اغتيال صالح العاروري وإخوانه يوم الثلاثاء الماضي في الضاحية الجنوبية!

إنّ مواجهة الاعتداءات الإسرائيلية، على لبنان، لن تكون بقمع اللاجئ الفلسطيني، أو بغض النظر عن انتهاك سيادة لبنان واستمرار احتلال جزء من أرضه، أو بالرهان على «المجتمع الدولي» وقراراته. ولن تكون حكماً، عبر الزيارات «الرعوية»! التحرير، هو، بالتجربة (وكأنه جزر القمر!) إذا ما تمادى الصهاينة، ولم يحترموا قرارات الشرعية الدولية وخصوصاً القرار 1701 الذي من شأن تطبيقه أن يحمي لبنان بضمانة «المجتمع الدولي»، كما يؤكد الراعي!

إنّ القول بأن لبنان كان دائماً محايداً، لا يتفق أصلاً، مع وقائع بارزة على غرار ما حدث عام 1958. حينها انضم الرئيس كميل شمعون إلى «حلف بغداد»، ما أثار نزاعاً داخلياً كبيراً أدى إلى نشوب انقسام سياسي واحتراب أهلي تخلّله استدعاء «الأسطول السادس» الأميركي لدعم حكم الرئيس شمعون وسياسته. وفي عام 1977 استُدعيت القوات السورية للدخول عسكرياً إلى لبنان من فريق «الجبهة اللبنانية» الذي هو امتداد للفريق الشمعوني عام 1958. كان ذلك أحد الأسباب الأساسية، لاحقاً، لإقامة وصاية على لبنان اضطلعت القوات السوريّة بدور تنفيذي مركزي فيها، بدعم كبير، أميركي وخليجي، ما قاد إلى وصاية استمرت 15 سنة فقط! يجدر القول هنا إن الفريق الذي لم يلتزم حياد التأسيس القائم على «النفيين» (حيال سوريا وفرنسا)، كان هو الفريق نفسه الذي يستحضر فكرة «الحياد» عندما تحتدم الصراعات الإقليمية كنتيجة للمشروع الصهيوني في فلسطين وتشريد شعبها. لقد أكره الصهاينة، بالمجازر والإرهاب، نحو نصف مليون فلسطيني على اللجوء إلى لبنان. عدم حل مشكلتهم، أسّس للأزمة الكبيرة التي قادت إلى الحرب الأهلية بين عامَي 1975 و1980، والتي استغلها الصهاينة لاحتلال أكثر من نصف لبنان عام 1982، حملت اسم «17 أيار».

المشروع الصهيوني، هو الذي شحن «الصيغة اللبنانية»، غالباً، بعناصر التوتر والتفجير. كان ذلك في الماضي. وهو مستمر اليوم، عبر استمرار احتلال أراض لبنانية وانتهاك سيادة لبنان، جواً وبراً وبحراً، وعبر السطو على جزء من حقوقه البحرية واستهدافه بالعمليات الأمنية وآخرها اغتيال صالح العاروري وإخوانه يوم الثلاثاء الماضي في الضاحية الجنوبية!

إنّ مواجهة الاعتداءات الإسرائيلية، على لبنان، لن تكون بقمع اللاجئ الفلسطيني، أو بغض النظر عن انتهاك سيادة لبنان واستمرار احتلال جزء من أرضه، أو بالرهان على «المجتمع الدولي» وقراراته. ولن تكون حكماً، عبر الزيارات «الرعوية»! التحرير، هو، بالتجربة المرّة، أو الفذّة (عبر المقاومة)، لم يكن ولن يكون إلا بسواعد المقاومين وتضحياتهم وبطولاتهم. إنّ الدول الغربية، وخصوصاً واشنطن التي تتحكّم بـ«الشرعية الدولية»، لا تتدخل إلا لمصلحة إسرائيل فقط. العالم شاهد اليوم، بالأساطيل والمجازر والدعم المطلق، على انحياز واشنطن وفريقها إلى جانب القيادة الصهيونية المجرمة وهي تواصل حرب إبادة همجية في قطاع غزة بشكل فاق كل أشكال البربرية التي عانت منها البشرية قديماً وحديثاً. إنّ استمرار المشروع الصهيوني سيحمل دائماً تحدّيات ومخاطر جديدة على دور لبنان وحتى على وجوده ووحدته. والتطبيع مع العدو المعمّن في تشريده للشعب الفلسطيني، وفي منعه من تقرير مصيره، هو تهديد حقيقي لوحدة لبنان ولسيادته.

لا ينبغي أن يكون لبنان تابعاً لأحد في الإقليم أو على المستوى الدولي. لكن لا حياد بين المعتدي والمعتدى عليه، وخصوصاً إذا كان الشعب اللبناني نفسه أو أحد الأشقاء العرب وتحديداً الشعب الفلسطيني، هو المستهدف. ثم إنّ دعاة الحياد، هل هم محايدون فعلاً؟ هل هم على مسافة واحدة من المحاور والتكتلات، ومن أطرافها الإقليمية والدولية. هل هم، على سبيل المثال، على مسافة واحدة من الرياض وطهران، ومن واشنطن وموسكو أو بكين؟ هل طالبوا بـ«الحياد» حين انخرطت أطراف لبنانية، رسمية وغير رسمية، في الحرب السوريّة ضد النظام السوري، أم فقط حين تدخّل حزب الله داعماً ومشاركاً في قتال المجموعات الإرهابية التي كانت تستهدف لبنان أيضاً وليس سوريا فقط؟!

لن يستقيم الوضع في لبنان، بما يحفظ مصالح وسيادة ووحدة شعبه وأرضه، إلا عبر انخراط «ناشط» في أمرين: الأول، في مشروع تحرّري عربي يكون ترجمة وحاضنة لانتماء لبنان العربي، ولمواجهة العدوانية التوسّعية الصهيونية ذات الخرائط والأطماع المعلنة في ضم جزء كبير من الجغرافيا اللبنانية، وفي استهداف مصالحه المصيرية. الثاني، في مشروع وطني لبناء الدولة الحصينة والموحدة والقادرة على الدفاع عن أمنها وسيادتها من جهة، وعن مصالح اللبنانيين في التقدم والازدهار والحرية، من جهة ثانية. ولن يحصل ذلك بغير التحرر، من التبعية العمياء للغرب الاستعماري، ومن منظومة التحاصص الفئوية التي أغرقت الأكثرية الساحقة من الشعب في أتون أزمة طاحنة جرّاء النهب والفساد وغياب المحاسبة.

* كاتب وسياسي لبناني

> ثم إن دعاة الحياد، هل هم محايدون فعلاً؟ هل هم على مسافة واحدة من المحاور والتكتلات؟

شيخان بين عدوّين

زاهر أبو حمدة

داخل حي الزيب في مخيم عين الحلوة، يمكن أن تراه في أوقات متفاوتة. يغيب عن السمع والبصر لأيام، وعند السؤال عليه: «الشيخ مشغول». لم يكن شيخاً بمعنى العلم الشرعي، لكن لهفته واضحة على الأطفال والمراهقين بالنصح اليومي ودروس الشريعة والفقه والسيرة النبوية، إضافة إلى التحريض الواضح ضد الاحتلال وأهمية استعادة فلسطين. محبوب من الجميع، والقاء به مرة واحدة يكفي لترك أثر جميل. أمّا ما أثر في شخصيته أكثر، هو ما حدث في بداية الألفية وانداع انتفاضة الأقصى. فنفّذ أكثر من عملية إطلاق صواريخ من جنوب لبنان، ولا سيما عام 2002. أمّا التغيّر الكبير في أفكاره وتبدّل الأولويات بالنسبة إليه، فكان سقوط بغداد عام 2003، فالتحق بساحة القتال العراقية. كان اسمه صالح قبلاوي، فأصبح أبو جعفر المقدسي بعدما انضم رسمياً إلى تنظيم «القاعدة».

قبل المغادرة إلى العراق، غيّر بهيئته ومظهره الخارجي. وفي جلسته الأخيرة داخل المخيم، قال بضع كلمات يمكن أن تلخّص حكاية الشعب الفلسطيني: «أشهد يا عالم علينا وعَ بيروت أشهد بالحرب الشعبية والليّ ما شاف من الغربال يا بيروت أعمى بعيون أميركية». هذا مقطع من أغنية فرقة «العاشقين» (كلمات أحمد دحبور وألحان حسين نازك). كانت رؤيته أن العدو الأساسي هو الأميركي وليس الإسرائيلي، فلولا «الغرب الكافر» لما كانت إسرائيل. ليضيف أنه «حين تسقط واشنطن تسقط تل أبيب».

أبو جعفر المقدسي، أصبح لاحقاً معاوناً لأبي مصعب الزرقاوي، وظهر في الفيديو الشهير للزرقاوي، وهو يطلق النار من رشاش «بي كي سي». انقطعت أخباره حتى أتى نبأ استشهاده، فكان يوماً حزيناً في عين الحلوة. ومنذ تلك الحقبة والأسئلة نفسها: أي عدو له الأولوية في القتال؟ والأهم، ماذا غيّر تفكير شاب لاجئ في مخيم لا يملك سوى قدرات ذهنية وجسدية؟ تبدو الإجابات واضحة وصريحة الآن في «طوفان الأقصى».

■■■

لا تفارق الابتسامة محيّاه. تبدو سنو الغربة والإسر واضحة في معالمه الخارجية. صوته خافت وحديثه مُرتب، ومن شدة أهمية ما يقول، تُجبر على الإنصات من دون طرح أسئلة كثيرة. أفكاره تؤسس لأسلوب المواجهة لنيل هدفه الأساسي: زوال إسرائيل. ويقول إنه لا بد من شرطين لتحقيق ذلك: وحدة وطنية ميدانية، ودعم من الأمّة، وفي المقدمة محور المقاومة.

هذه رؤية الشيخ صالح العاروري. عدوه معروف ولهزيمته لا بد من نهضة قتالية في الأرض الفلسطينية، لذلك كان مشروعه «تدوير الضفة» ولم يفرّق بين الفصائل الفلسطينية. «أي شخص يريد القتال ندعمه، وإن استشهد ندعم أهله ونبني بيته إذا تدمّر». هذا ما أسرّ به، وعمل عليهُ حتى رحيله. لكن ما أكّده بيقين، أن المواجهة المقبلة مع إسرائيل ستكون الأخيرة، وسيكون «يوم القيامة» بالنسبة إلى الاحتلال. فاتى «طوفان الأقصى» بعد شهرين من هذا الكلام، وفعلاً كان يوم القيامة للفلسطينيين أيضاً، حيث توحّد الوعي الجمعي الفلسطيني، وهذا يؤنّس لما سيكون بعد حين.

الشيخ أبو محمد، اختار العدو الأقرب، وكان عزمه متوجّهاً لقتاله. وبعكس الشيخ أبو جعفر الذي أراد قتال الرأس أولاً في بلادنا الكبيرة المحتلة. هذه المعركة أثبتت أن لدينا عدوين، وربما يجب أن نقاتلهما معاً وفي أي مكان. ويتضح أكثر أن التلاصق بين واشنطن وتل أبيب لا ينفصل، فالعدو واحد.

تقرير

حل أزمة النفايات في 2024 أو العودة إلى 2015

فوّاد بزي

أعاد تهديد اتّحاد بلديات الضاحية بـ«إقفال مطمر الكوستا برافا أمام نفايات الشوف وعاليه» ملف إدارة النفايات الصلبة إلى دائرة الاهتمام. المطمر «غير الصحي» لن يستمر للأبد، وهذا واضح للاتّحاد، الذي يحاول بخطوته تمديد مدة التشغيل فقط، من دون طرح حلول بديلة. ففي عام 2024 المقبل، يصل مطمر الكوستا برافا إلى سعته القصوى، إذ يدخله يومياً 1323 طناً من النفايات، 775 طناً من قضاء بعبدا، و548 طناً من عاليه والشوف. إذاً عام 2024 مرشح أن يكون نسخةً عن عام 2015، حين تكدّست النفايات لأشهر في الشوارع إثر إقفال مطمر الناعمة - عين درافيل، بعد أن أصبح الكوستا برافا نسخةً غير متقّحة عن المطمر الأول.

رغم مرور 8 سنوات على أزمة النفايات الأولى عام 2015، لم يجرِ العمل، على مستوى البلديات أقله، على حل حقيقي قادر على تجنيب البلاد مشهد النفايات المكدّسة في الطرقات والأودية، إذ تستنزف إدارة الملف 75% من ميزانية البلديات. وبسبب الأزمة الاقتصادية وتدهور سعر الصرف، زادت تكاليف إدارة ملف النفايات على البلديات، وأوقعتها في عجز تام، فتعطّلت أكثرية معامل الفرز، وتوقّفت المشاريع السابقة للأزمة، وتحوّلت الأحراج إلى محارق ومكبات.

وينتج لبنان يومياً 5514 طناً من النفايات، 99% منها تذهب نحو المكبات العشوائية والمطامر، وفقاً لـوزارة البيئة. المفارقة أن الأزمة الاقتصادية أسهمت إيجاباً في تخفيف إنتاج النفايات بنسبة 25%، إذا أنتج لبنان عام 2018 نحو 7300 طن من النفايات يومياً. لكن، من جهة أخرى، غيّرت الأزمة في تركيبة النفايات، إذ رفعت نسبة العضوية منها من 50% عام 2017 إلى 70% عام 2021. ولا تتوقع وزارة البيئة عودة الإنتاج إلى سابق عهده قبل 7 سنوات أقله، وفقاً للمذكرة التقنية الصادرة بشكل مشترك عنها وعن البنك الدولي، بهدف وضع «خارطة طريق لإدارة النفايات الصلبة في لبنان للسنوات 2023-2026».

التحركات المناطقية، ورفض إنشاء المطامر كي لا تُستغلّ للتخلص من نفايات منطقة على حساب أخرى، دفع وزارة البيئة نحو اعتماد اللامركزية في إدارة ملف النفايات. ولا يرى وزير البيئة في حكومة تصريف الأعمال ناصر ياسين المطامر المركزية حلاً واقعياً، سائلاً: «ماذا بعد الكوستا برافا، ألن نصل إلى المشهد نفسه لاحقاً؟». وفقاً لياسين، «قدرة المطامر الاستيعابية القصوى محدودة، وستصلها عاجلاً أم آجلاً». في المقابل، ولتخفيف الاعتراضات المناطقية، تقوم خطة وزارته على اعتماد «مناطق خدماتية تحتوي على منظومة إدارة نفايات متكاملة، فرز وطمر وتسبيخ». أما حول إدارة المناطق الخدماتية تلك، فستكون تحت إشراف اتحادات البلديات. و«في حال كان الاتحاد البلدي صغيراً، تجمع عدة مناطق مع بعضها».

(هيثم الموسوي)

596
كيساً في السنة
هو معدّل استهلاك كلّ لبناني من الأكياس البلاستيكية ذات الاستخدام الواحد، في مقابل 380 كيساً للفرد في تونس، و135 في مصر، وفقاً لمركز النشاط الإقليمي للاستهلاك والإنتاج المستدام في الاتحاد الأوروبي.

«منظومة إدارة النفايات موجودة في لبنان»، يقول ياسين، و«لكن لا صيانة، ولا إدارة وتشغيل حقيقي، وأثناء الانهيار المالي تفاقمت المشكلة». بالتالي، «العائق الرئيسي أمام تشغيل منظومات إدارة النفايات، وعددها 15، هو التمويل».

وخطة وزارة البيئة بحاجة لما يقارب 133 مليون دولار لإعادة تأهيل البنية التحتية القائمة، و58 مليوناً لإقامة المناطق الخدماتية حيث لا وجود لها بتاتاً، وفقاً لمذكرة وزارة البيئة التقنية. أما المتوافر من التمويل، فحوالى 100 مليون دولار وفرتها الوزارة عبر القروض والهبات الدولية، يسيطر البنك الدولي على 25% منها.

صافرة انطلاق العمل بخطة وزارة البيئة ستبدأ مطلع 2024، وتأهيل منظومة النفايات على طول الساحل أساسي فيها، إذ يسكن 80% من اللبنانيين المناطق الساحلية. ويعوّل ياسين على تأمين التمويل للبلديات واتحاداتها لتتمكن من القيام بدورها في «تطبيق رسوم النفايات التي ستحوّل لصناديق الإدارات المحليّة».

أما في سنوات الانهيار، فأشار ياسين إلى «العمل على تهدئة القطاع لمنع انهياره، ولكنّ الأزمة الاقتصادية تسابقنا، فانهار في صيدا، وسيطرت المكبات العشوائية على الجنوب».

من جهة أخرى، تقوم خطة وزارة البيئة على 3 ركائز، الحوكمة، تعزيز الفرز وتحويل النفايات، الاستثمار والتشغيل الذي انطلق عام 2023 بوضع النصوص القانونية الأساسية. وحول النقطة الثانية، أمل ياسين، في حال حسن سير تطبيق الخطة، الوصول إلى 40% طمر فقط. ولكن تعزيز عملية الفرز من المصدر يحتاج إلى «إشراك المؤسسات التجارية الكبيرة التي تنتج كميات كبيرة من النفايات في العملية»، ففي المدينة الرياضية مثلاً، «ينتج سوق الخضار أكثر من طنّين من النفايات العضوية يمكن تحويلها إلى سماد، من دون أن تحوّل للطمر العشوائي».

تقرير

الكازينو يدير «القمار الشرعي» بطريقة غير شرعية

ندى أيوب

في حلقة ترويجية على قناة «المُرّ تي في» أخيراً، قال رئيس مجلس إدارة كازينو لبنان رولان خوري إنّ «الدولة اللبنانية منحت الكازينو الحقّ الحصري بتنظيم ألعاب الميسر والمراهنات عبر الإنترنت». وفي هذا نصف الحقيقة. إذ أن الصحيح أنّ وزارة المال ارتكبت خطأً عندما سمحت للكازينو بتنظيم هذه الألعاب. وهو ما حسمه ديوان المحاسبة، قبل شهرين ونصف شهر، في رأي إستشاري، أكّد فيه أنّ «لا صفة قانونية للكازينو تخوّله تنظيم القمار أونلاين»، واصفاً عقد تلزيم الكازينو للألعاب منذ تشرين الثاني 2022، بـ«غير الشرعي»، وموصياً الحكومة بالتحرّك لحماية المصالح المالية للدولة.

وسن قانون ينظّم قطاع القمار أونلاين على نحو يحدد الجهة المخولة إدارته، وتضمينه جملة ضوابط تخفّف من آثاره المجتمعية السلبية. إلا أنّ الحكومة لم تدرج الملف على جدول أعمال أيّ من جلساتها في الشهرين الفائتين، وأبقت الوضع على شواذه. ومثلها فعل مجلس النواب الذي لم يخطر لأي من نوابه أو كتله إعداد اقتراح قانون لتنظيم القطاع.

عندما خاضت إدارة الكازينو معركة إطلاق ألعاب القمار والمراهنات عبر الإنترنت، شدّدت على أنّ أحد أهم أهدافها «القضاء على أوكار القمار غير الشرعية». بعد أكثر من عام على إطلاق الكازينو لألعاب الميسر أونلاين، لا تزال مكاتب السوق السوداء قائمة ومزدهرة. وباعتراف خوري نفسه، في الحلقة التلفزيونية نفسها، «لم يستطع الكازينو إنهاء ظاهرة القمار غير الشرعي». علماً أن أحداً لم يكن يصدق أنّ بمقدور الكازينو محاربة ملوك السوق السوداء، المحميين من أحزاب وجماعات، لكن خوري ألزم نفسه بما يفوق طاقته لإضفاء مشروعية على تنظيم الكازينو لقطاع القمار، وإظهار الأمر وكأن فيه حاجة اجتماعية تتطلّب السماح للكازينو بدخول عالم «الأونلاين».

وكما بات معلوماً، وقّع الكازينو عقد تلزيم ألعاب القمار والمراهنات عبر الإنترنت مع شركة (Olive Support Systems (OSS، في تشرين الثاني 2022، وجرى خلق تطبيق إسمه BetArabia. وبعد كثير من الأخذ والرّد، نسف ديوان المحاسبة أي حقّ للكازينو في تنظيم هذا النوع من الألعاب، وعدّ «العقد المبرم مع OSS تجاوزاً للقوانين، شاركت فيه وزارتا المالية والسياحة، وأضرّ بمصالح الدولة المالية». استناداً إلى أن الكازينو مُنِح بموجب قانون القمار لعام 1954، حقاً حصرياً باستثمار ألعاب القمار في النادي الوحيد في المعاملتين. وتطبيقاً لذلك، فإن العقد الأساسي الموقّع بين «المالية» والكازينو، عام 1995، يجيز للأخير تنظيم ألعاب القمار «الأرضية» حصراً.

غير أن إدارة الكازينو تجاوزت القانون، استناداً إلى تعديل أدخلته وزارة المالية عام 2008، على المادة 10 من العقد، لجهة السماح للكازينو، بشكلٍ حصري، بتنظيم ألعاب القمار والمراهنات الرياضية «Online». وفي 22 آذار 2023، وقّع وزيرا المالية يوسف الخليل والسياحة وليد نصّار مع الكازينو ملحقاً تعديلياً، منحا الكازينو بموجبه جميع ألعاب القمار الحاضرة والمستقبلية سواء كانت مصنّفة أو غير مصنّفة بأنّها ألعاب قمار، عبر موافقة استثنائية. لكن رأي الديوان استقرّ على أنّ هذا التعديل «لا يشكّل الغطاء القانوني الكافي الذي يسمح للكازينو بتلزيم القمار أونلاين، ذلك أنّ إعطاء حقّ استثمارها يشكّل توسعة لنطاق الامتياز، ويحتاج إلى تعديل قانون الامتياز الصادر عام 1995 بموجب قانون جديد». وهو ما لم يحصل.

عملياً، كان يفترض بمجلس الوزراء التحرّك كونه صاحب الصلاحية في تحديد مصير العقد مع OSS، والذي يرتّب فسخه مبالغ مالية على الدولة. كما يرتب الإبقاء عليه خسارة لجزء من الإيرادات التي يُمكن أن تدخل الخزينة، فيما لو نظمت وزارة المالية عبر مديرية اليانصيب (صاحبة الحق في تنظيم ألعاب الحظ والمراهنات بموجب مرسوم صادر عام 2012) مزايدة لتلزيم ألعاب القمار «أونلاين»، وتقاسمت العائدات مع الشركة الفائزة. من دون إقحام الكازينو كطرفٍ ثالث يحصل على نسبةٍ من الأرباح كما هي الحال راهناً، بينما هو لا يقدم شيئاً، سوى أنه عُمِّل كوسيط بين الدولة والشركة المتعهّدة تشغيل الألعاب.

إهمال السلطة له تداعياته الإجتماعية أيضاً، سيّما أنّ ملء الفراغ القانوني يفترض أن يكون عبر سنّ قانون يُخضع هذه الشركات العاملة في القطاع لنظام ضرائبي قاس، ويفرض توظيف قسم من الأرباح في قطاعات مفيدة للمجتمع والاقتصاد، تعويضاً عن الأضرار الجسيمة لألعاب القمار، كدعم موازنات بعض الوزارات ومراكز معالجة الإدمان... ووضع حدّ للعب المدمنين بواسطة آليات منع وتحديد سقوف لكل لاعب، إضافة إلى ضمان حصول اللاعب الذي يربح على أمواله، وحماية «الداتا»، والتأكد من خلوّ المراهنات من نقل مموّه للأموال (تبييض الأموال)، عبر استحداث نظام مراقبة يتيح مراقبة المراهنات المشبوهة.

تقرير

«إبريق زيت» قانون الإيجارات غير السكنية

ميقاتي يتراجع عن الخطأ... بخطأ دستوري

زينب حمود

في جلسته التشريعية في 15 كانون الأول الماضي، وفي حماة الصراع السياسي لتمرير اقتراح قانون التمديد لسن تقاعد قائد الجيش وقادة الأجهزة الأمنية، مرّر مجلس النواب، على عجل، اقتراح قانون الإيجارات للأماكن غير السكنية، بحجة أنه «أخذ حيّزاً واسعاً من النقاش في اللجان النيابية المشتركة».

ومع أنّ إقرار قانون يتعلق بالإيجارات غير السكنية بات حاجة ضرورية بعدما صارت بدلات الإيجار زهيدة جداً ولا تتعدى دولاراً واحداً شهرياً في بعض الأماكن المأجورة، إلّا أنّ القانون الجديد، بحسب معنيين، جاء لمصلحة المالكين على حساب المستأجرين والمصلحة العامة. وبالتالي، وبسبب تأثيره المباشر على الأنشطة الاقتصادية، «كان بحاجة إلى مزيد من الدرس، خصوصاً أنه بصيغته الحالية يشعل نزاعات بين المالكين والمستأجرين بموجب عقود قديمة (قبل 23 تموز عام 1992)». لذلك، وبعدما «راحت السكرة وجاءت الفكرة»، قرّر رئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي في 26 الشهر الماضي ردّ القانون، مع قانونين آخرين أقرهما مجلس النواب، رغم المآخذ الدستورية على مثل هذه الخطوة.

وينصّ القانون على تحرير عقود الإيجارات غير السكنيّة القديمة بعد 4 سنوات من صدوره، على أن يتم رفع البدلات تدريجيّاً خلال هذه المدة (25% من قيمة بدل المثل في السنة الأولى، و50% في الثانية، و100% في السنتين الثالثة والرابعة). علماً أنّ بدل المثل يوازي 8% من قيمة المأجور. ويحق للمالك، بموجب القانون، تقصير المدة الانتقالية إلى سنتين مقابل التنازل عن الزيادات التدريجية، أو استرداد المأجور قبل انتهاء المدة في حالات معيّنة مقابل تعويض يصل إلى 15% من القيمة البيعية للمأجور.

على سبيل المثال، إذا كانت قيمة المأجور 100 ألف دولار، فإن بدل المثل يساوي 8 آلاف دولار. يسدّد المستأجر ألفي دولار في السنة الأولى (167 دولاراً شهرياً)، وألفي دولار في السنة الثانية ($334 شهرياً)، و8 آلاف في السنتين الثالثة والرابعة ($667 شهرياً)، قبل أن يسترد المالك المأجور.

رئيس «لجنة الدفاع عن حقوق المستأجرين القدامى في لبنان» كاسترو عبد الله، وصف بدلات الإيجار التي يفرضها القانون بأنها «مبالغ فيها لأنها تفوق بكثير قيمة الإيجارات الجديدة. لذلك لن يصمد معظم المستأجرين القدامى 4 سنوات، وسيُجبرون على الإخلاء الفوري منذ السنة الأولى»، لافتاً إلى أنّ «عدداً كبيراً من المدارس الرسمية والمهنيات ومكاتب الضمان الاجتماعي وغيرها تحت اسم «بيع خلو»، لمستأجر آخر طمعاً بتدنّي قيمة الخلو مقارنة بثمن المأجور وبدلات الإيجار الزهيدة. ومع تحرير الإيجارات سيخسر المستأجر بدل الخلوّ الذي دفعه.

لن يصمد معظم المستأجرين القدامى 4 سنوات، وسيجبرون على الإخلاء الفوري منذ السنة الأولى

في المقابل، يشدّد رئيس نقابة مالكي الأبنية المؤجّرة باترك رزق الله على أن «لا علاقة للمالك إن قرر المستأجر المقامرة بإيجار قديم سيجرّر يوماً ما ويعود الملك إلى صاحبه»، لافتاً إلى «أننا دفعنا التعويضات عندما تنازلنا عن كسورات بدلات الإيجار المستحقّة طوال خمسين عاماً». وينفي أن يكون بدل المثل المحدد في القانون الجديد مضخماً «مقارنة ببدل المثل عن الإيجارات السكنية غير الربحية الذي يساوي 5% بموجب قانون الإيجارات عام 2014، وقياساً بالأرباح التي يجنيها التجّار بعد دولرة السلع، والذين يدفعون منها بدلات إيجار أقل بعشر مرات من قيمة الضريبة على الأملاك المبنية». عضو مجلس نقابة المحامين سعد الخطيب يصف القانون الجديد، بأنه «غير عادل لأنه يحقق مصلحة طرف على حساب الآخر»، لافتاً إلى أثره على الأنشطة الاقتصادية والمؤسسات التجارية «كونه يضرّ بعنصر الزبائن، وعنصر الموقع الذي إن انقطع عن صيدلية، مثلاً، قد يخسرها الرخصة. كذلك الأمر بالنسبة إلى المصالح والمؤسسات التي تخضع لشروط المسافات، عدا عن أثره على حق الإدارة الحرة والاستثمارات التي تمتد عقودها لمدة تتجاوز مهلة تحرير الإيجارات». غير أن سعد يلفت إلى أن قرار رئيس الحكومة بردّ القانون بعدما أقره مجلس النواب «مخالفة دستورية، لأنه ليست هناك آلية دستورية تسمح له بالتراجع عن قانون أصدره، وهذه صلاحية محصورة برئيس الجمهورية ولا تنتقل إلى أحد بغيابه». ورغم الملاحظات على قانون الإيجارات غير السكنية، إلّا أنه «من الناحية الدستورية، يُعَدّ نافذاً ويجب نشره في الجريدة الرسمية، وسلوك الطرق القانونية لمعالجة ثغراته كالطعن به أمام المجلس الدستوري أو التقدّم بمشاريع قوانين لتعديله».

قصة «إبريق زيت» الإيجارات لا تنتهي، وفيها الكل مستفيد ومتضرر: هناك متعهدون اشتروا عقارات تخضع لنظام الإيجارات القديمة بسعر متدنّ لجني أرباح طائلة بعد تحريرها، ومستأجرون قدامى لا أماكن لهم يذهبون إليها ولا قدرة لهم في ظل الأزمة على دفع بدلات الإيجارات الجديدة، ومالكون لا تكفي عائدات أملاكهم لإطعامهم. فيما الدولة التي تغاضت عن وضع حدّ لهذا الوضع عندما مدّدت عقود الإيجار القديمة، انحازت للمالكين عندما فكرت في الحلّ، ولمّا استدركت أنّ المستأجر لن يتخلّى عن ماجوره بسهولة، تراجعت عن الخطأ... بخطأ دستوري.

استراحة

إعداد **نعوم مسعود**

كلمات متقاطعة 4494

أفقيا

1- مدير جهاز المخابرات زمن حكم الرئيس حسني مبارك – 2- ممثل مصري راحل – خاصتها بالأجنبية – 3- يجري في العروق – عاصمة ولاية مينيسوتا الأميركية – 4- خاصمت بشدة – ريق الفم – 5- محافظة لبنانية – إسم موصول – غلى الماء – 6- من الألبسة – بذر الأرض – 7- متشابهان – خداع الحواس – كلام غير صادق وغير مفيد – 8- مدينة في إمارة عجمان – حرف نصب – 9- للتعريف – من الحيوانات – 10- فيلم سينمائي لفريد الأطرش

عمودياً

1- رئيس مجلس نيابي لبناني راحل – 2- ممثل مصري – 3- ثرى – حرف أبجدي اغريقي – عاتب – 4- جزء من ستة – طبيب وعالم هولندي راحل زار لبنان – 5- من الأشجار – خاصتها – 6- عائلة أديب وصحافي مصري راحل – الذي يقيس ويقسّم الأرض – 7- عائلة رئيس فرنسي راحل – ليّن – 8- رقيق الجلد – من الأزهار – ضمير متصل – 9- مجموع للمرأة من غير لفظها – ضد حضرت – 10- مدينة لبنانية

	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
1	■									
2			■							
3								■		
4					■		■			
5			■			■				
6		■			■					
7				■				■		
8			■							
9	■					■			■	
10										

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- الكسندر هيغ – 2- تنغانيكا – 3- انا – لك – لحد – 4- روبي – وسيلة – 5- دم – حيتان – 6- يم – الأمل – 7- دب – رس – 8- أقحوان – 9- فرغ – يس – دنا – 10- توت عنخ آمون

عمودياً

1- الأردن – زفت – 2- نوم – رو – 3- كتاب – بُباغت – 4- سن – يحم – 5- نغل – طحين – 6- داكوتا – وسخ – 7- رن – سالتا – 8- هيلينا – ندم – 9- يكحّل – مر – نو – 10- غادة السمّان

sudoku 4494

4		1		6		9		
	8				9			5
			4	5	1	7		
		8			4			
6					5	7		
	1		7	8			6	
8		9		7				4
				9	8		1	
	6					8		9

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

حل الشبكة 4493

5	1	3	9	6	8	2	7	4
7	8	4	3	5	2	1	6	9
6	2	9	4	1	7	3	5	8
2	5	6	8	3	9	7	4	1
1	4	7	5	2	6	8	9	3
9	3	8	7	4	1	6	2	5
8	9	1	6	7	5	4	3	2
3	7	5	2	8	4	9	1	6
4	6	2	1	9	3	5	8	7

مشاهير 4494

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

شاعر روسي (1940- 1996) نال جائزة نوبل في الأدب عام 1987

5+2+6+8+7 = مدينة فرنسية ■ 10+1+11+4 = عاصمة أوكرانيا ■ 3+8+9 = جزء من ستة

حل الشبكة الماضية: **كليف ريتشارد**

الأخبار
al-akhbar
السبت 6 كانون الثاني 2024 العدد 5101

هوامش على دفتر «الطوفان»

أسبوع من تنظيم «مسرح المدينة» ومتحف «نابو»

«إلى غزّة سلام» من بيروت

خليل الحاج علي

خلافاً لغيره من الفضاءات الثقافية في بيروت التي تلتزم الصمت إزاء حرب الإبادة الإسرائيلية على قطاع غزّة، يشارك «مسرح المدينة» للمرّة الثالثة منذ السابع من تشرين الأوّل (أكتوبر) الماضي في تنظيم واستضافة فعاليات فنية وثقافية دعماً للقطاع، فيما يأخذ على عاتقه مهمة جمع التبرّعات المالية وحشد الرأي العام، لدعم قضية صارت تشكّل، أكثر من أي وقت مضى، منطلقاً للعمل في السياق الفني.

بدءاً من بعد غدٍ الإثنين حتى 14 كانون الثاني (يناير) الحالي، يقيم «مسرح المدينة» (الحمرا) بالتعاون مع «متحف نابو» (الهري ـ شمال لبنان)، أسبوعاً تضامنياً مع غزّة تحت عنوان «إلى غزة سلام»، تتخلّله عروض مسرحية وسينمائية وغنائية راقصة. وعلى هامش الأمسيات، ستُجمع التبرّعات المالية لمصلحة «صندوق غسّان أبو ستة للأطفال» الذي أُطلق أخيراً بمبادرة من جواد عدرا وفداء جديد وبدر الحاج.

في هذا السياق، تؤكد مؤسسة «مسرح المدينة»، الممثلة نضال الأشقر، أنّ «كلّاً منّا يقف مع غزة على طريقته. انطلاقاً من المسرح الذي نعمل فيه والفن الذي نمارسه، رأينا أنه في خضم المأساة التي يعيشها القطاع، تتعيّن علينا المساندة بالشعر والموسيقى والمسرح والسينما... من المهم جداً أن تقف بيروت مع غزة. لذلك، فالوقوف مع السكان هو واجب وطني». وفي الإطار عينه، تؤكد الأشقر أنّ هذه الأمسيات تستهدف العامة وكل المهتمين بالفنون والشعر والفولكلور الفلسطيني على وجه الخصوص.

تفتتح نضال الاشقر وخالد العبد الله الحدث بـ «قراءات شعرية لفلسطين»

الافتتاح الإثنين سيكون مع أمسية «قراءات شعرية لفلسطين» (س: 20:00) تلقي خلالها الأشقر قصائد للشعراء الراحلين سميح القاسم، وتوفيق زياد، ومحمود درويش، ونزار قباني، وغيرهم. على أن يرافقها عزفاً الفنان خالد العبد الله الذي يقول إن أكثر ما دفعه إلى المشاركة هي «الأوضاع التي نعيشها، وأهمية التعبير عن أحاسيسنا في مرحلة مماثلة». ويضيف: «الموسيقى هي مرآة لما نعيشه حالياً، من خلالها نستطيع التعبير عمّا يحصل في فلسطين اليوم».

يوم الثلاثاء المقبل، يحين موعد وثائقي «خيوط السرد» (70 د ـ كتابة الصحافية سحر مندور) للمخرجة كارول منصور. يضمّ الفيلم حكايات 12 امرأة من مجالات مختلفة، يعشقن فلسطين، ويتمتّعن بالعزيمة والمرونة والوضوح، ويطلقن العنان للحديث عن حياتهن قبل الشّتات، وذكرياتهن، على أن يكون الرابط السردي في ما بينهنّ فنّ التطريز القديم. عبر قصصهن، يتشابك السرد الفردي بالجماعي، محافظاً في الوقت نفسه على تميّزه وخصوصيّته.

بعدها، سيكون الجمهور على موعد مع «فرقة عشّاق الأقصى» من مخيم البدّاوي للّاجئين الفلسطينيين في شمال لبنان، التي ستحيي أمسية «أغاني وطنية» (10/1)، قبل أن تطلّ فرقة «جفرا» يوم الجمعة المقبل في ليلة مخصصة للأغاني والرقص التعبيري، من تنظيم «النادي الثقافي الفلسطيني». أما يوم السبت، فيقدّم الشاعر والإعلامي زاهي وهبي «تحية شعرية»، يرافقه فيها عزفاً على العود الفنان زياد سحاب. وتُختتم المواعيد مع السوبرانو غادة غانم التي تقدّم «تحيّة غنائية» بالاشتراك مع إدي دورليان وفرقة «موزاييك» (14/1).

«إلى غزة سلام»: بدءاً من بعد غدٍ الإثنين حتى الأحد 14 كانون الثاني (يناير) 2024 ـ الساعة الثامنة مساءً ـ «مسرح المدينة» (الحمرا ـ بيروت). الدخول مجاني. للاستعلام: 01/753010

ملحق إنما

سيتوقف ملحق إنّما عن الصدور لمدّة أسبوعين بسبب الإجازة السنوية. سنستأنف النشر نهار السبت الواقع فيه 20 كانون الثاني/ يناير. للراغبين في التواصل معنا يرجى مراسلتنا على البريد الإلكتروني (pmakhlouf@al-akhbar.com). **سنُعيد نشر مقدّمة إنّما، «هذه ليست مقدمة»، التي صدرت في العدد الأول المعنون بـ«حرف ناقص» (تاريخ 4 شباط 2023).**

هذه افتتاحيّة لملحق «إنّما» الذي سيطلّ أسبوعيّاً في جريدة «الأخبار» اللبنانية. إن الإجابات مبعثرة، والأسئلة غائبة والتشتّت عصب الرأس الأوحد. كيف يمكن للهارب من هذيانات اللسان أن يطمح إلى القبض على كلمة؟

ليس هناك أفصح من كلمة «إنّما» لمجابهة حيرة المرحلة، وللتحايل على وجهة الطريق.

واصلين المعنى بنقيضه، سنجيء كلّ سبت لنقطع جملة الأيّام المكرّرة. وجب التذكير: تقطع «إنما» الجملة إلى نصفين، كلّ ما يأتي قبلها هراء، تنسفه إنما وتمهّد للمغزى الدلالي الذي يأتي بعدها، كتصريح قائم يبلوره النفي أو التوكيد. يسعى ملحق «إنما» إلى التماهي مع ما تعنيه «إنما» كأداة، أن يكون المسمّى مطابقاً للاسم.

تؤدّي «إنما» وظيفة الحصر بجمعها «إن» كأداة توكيد، و«ما» الكافّة، ما يجعلها كعبارة مركّبة أداة توكيد. ثم تعني «إنما» أيضاً، بل ولكن أو بيد أن، ملتحقة بذلك بسلالة أدوات النفي. قد يكون ملحق «إنما» مساحة مكتوبة للتفريغ، إنما هو بؤرة لمناورات كتابيّة أسبوعية ترصد الظواهر العيانية، وتكشف تلك اللامرئية، لتزعزع مركّباتها، هذا ما ستكون عليه الحال في قسم «إشارات». إذاً، ليست «إشاراتنا» ممارسة سيميولوجيّة خالصة، إنما هي تمرين شاقّ ومتواصل عليها. ليس «إنما» طريقاً بأفق شديد الوضوح، إنما نتخذ منه سبيلاً للتفتيش والحفر والنقد، وورشة لمزج المراجع والمصادر البصرية والسينمائية والأدبية، بغية تقريب الخيالي من الواقعي كما في قسم «تفكيك». على هذا النحو، ومثلما تكتنز «إنما» انعطافاً، وتدلّ على التفاتة، فإن «تفكيك» يخلخل المسار الآمن لـ«من ___ > إلى»، بهدف خلق مقاربة مختلفة للموضوع؛ لن يعود العمل الفني مفهوماً مجرّداً، محشوراً في أروقة مغلقة، أو ساكناً في لغة المعاجم العصيّة. إنه نقر مروّس في أحشاء المومياءات الفنية، وقراءتها بعين متيقّظة للتقاطعات ما بين الكلاسيكي والمعاصر، وتوظيفها لفهم أحوال العيش المُقلقة.

أما قسم «تدوين» فهو مكبّر صوت لكلام لا يبتغي الصراخ، إنما يتّسع للصوت وصداه. ومن هنا، يُرجى الابتعاد عن اللغو الطامح إلى ما لا يقدر على حمله، وحذارِ من تقمّص دور الضحيّة الأبدي في القضايا الراهنة.

وفي «حكاية عين»، هناك كتابة بصريّة، تُنشر في الصفحة الأخيرة المخصّصة للقصص المصوّرة. الصورة في «إنما» تحتلّ أهميّة توازي أهميّة النصوص، وعليه كلّ الصور المرفقة بالمقالات هي، بمعظمها، أعمال فنية لرسامين ومصوّرين أُنجزت خصيصاً للملحق.

صفحات أخرى مثل «بيوغرافيا»؛ ترتبط بثيمة ما، تتم معالجتها من خلال الأخبار الموجزة المشتقّة منها، والتعليقات السريعة على صورة فوتوغرافيّة مرفقة، كما تتسع لأنساق كتابيّة أخرى مثل البورتريه، والمقابلة كوسيط للتطرّق إلى وجوه وأماكن وزوايا غير رائجة بالضرورة.

ننشغل في «إنّما» بالسرديات الصغرى بدلاً من السرديات المهيمنة، لأن الالتفات إلى المطرود والمطموس يُحيي الكتابة، ويكسر بلادة اللغة ومصطلحاتها التي باتت معجماً لتوليد المعاني الأحاديّة. الرأس متيقّظ والملحق كوّة: سنطلّ صباح كلّ سبت.

بينما نكتب هذا النصّ في بيروت، تبدو صورة المدينة مطابقة لحقيقتها. جلبة طفيفة في الجوار، إنما عاجزة عن خدش الركود. الأشياء تتداعى، ولا صوت يخرج لدى ارتطامها. حتى وقع المقالات لا يرنّ. إن الكتابة اليوم، بالنسبة إلينا، هي الفعل الأخير الذي نقوى على فعله وهي...

(أقلّ عادات اليد سوءاً).

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/666314 ـ 03/828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 6 كانون الثاني 2024
العدد 5101 السنة الثامنة عشرة
Samedi 6 Janvier 2024 nº 5101 18ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

حصاد الثقافة 2023

ما قبل «الطوفان» ليس كما بعده

صورة العام 2023: جنود صهاينة يجرّهم المقاومون خلال عملية السابع من اكتوبر الماضي

حصاد الثقافة 2023

لبنان: عام الخسارات الموجعة... والحيوية الروائية

خسارات موجعة هي أول ما يجول في الخاطر عند استعراض الحصاد الثقافي في لبنان لعام 2023: وداعنا طلال سلمان ناشر صحيفة «السفير» عن عمر يناهز 85 عاماً بعد مسيرة ريادية حافلة في الصحافة والثقافة لـ «ابن الدركي» القادم من شمسطار البقاعيّة ليؤسس عام 1974 الجريدة التي حملت شعار «صوت الذين لا صوت لهم» لتغدو الجريدة مع مؤسسها علامة فارقة في صناعة الرأي العام ومواكبة القضايا الإنسانية والوطنية والقومية وبتدرج بين ظهرانيها الكثير ممن لمعت أسماؤهم في الصحافة والإعلام في ما بعد، ليبقى الرجل في قلوب محبيه على صورة «نسمة» الذي لم يعرف مهمة إلا الحبّ. خبر حزين ومفجع للرواية اللبنانية تمثّل في رحيل عميدتها ليلى بعلبكي، ابنة بلدة حومين التحتا الجنوبية التي كانت روايتها الأولى «أنا أحيا» مانيفستو للجرأة والثورة على التقاليد والهيمنة بكل أنواعها وفاتحة لجيل كامل استلهم من أعمال بعلبكي كل جرأته وقدرته على الرفض والثورة والتغيير. كما فجع الوسط الثقافي والأدبي برحيل المترجمة والشريكة المؤسسة في «دار الآداب» عايدة مطرجي إدريس، ووفاة رئيس «المجلس الثقافي للبنان الجنوبي» الأديب والنائب السابق في البرلمان اللبناني حبيب صادق. غير أنّ عام 2023 بدت واعدة في الإصدارات الأدبية، ولا سيما الروائية التي تابعت فيها الأسماء الكبيرة إضافة لبنات إلى عماراتها الروائية الشاهقة. والأبرز بروز أصوات جديدة بدأت تشق طريقها بثبات عبر تنويعات مميزة في الثيمات والسرد والجرأة والحفر في الهويات وبروز أدب مقاوم يؤرخ للنضال الجنوبي على مرّ العصور. بيروت المشاكسة أبت إلا أن تطرح على محبي الكتاب والثقافة إشكالية كبيرة تمثّلت في إقامة معرضين للكتاب في مدة زمنية متقاربة، ما جعل المعنيين بالشأن الثقافي يطرحون أسئلة جادة ومقلقة حول الانقسام الثقافي والسياسي وضرورة توحيد الجهود في بلد أرهقته الانقسامات والمزايدات على أنواعها. إلا أنّ المواكبة الثقافية للملحمة الفلسطينية في غزة والمقاومة الباسلة في الجنوب، كانت سمة بارزة للكثير من الأنشطة في نهاية هذا العام. نعرض في «كلمات» أبرز ما طبع عام 2023 من غيابات وإصدارات وتظاهرات ثقافية لبلد، رغم كل مآسيه، لا ينفك يجترح في ديناميكيته الثقافية قدرة على الإبداع والحب ومواجهة «الآلهة الممسوخة».

محمد ناصر الدين

حظرت وزارة الإعلام اللبنانية عام 1964 كتاب ليلى بعلبكي «سفينة حنان إلى القمر، بحجة أنه «إباحي»

رحيل «الروّاد»

فجعت الساحة اللبنانية برحيل ليلى بعلبكي (1934- 2023) التي ظلت روايتها «أنا أحيا» الصادرة عام 1958 أيقونة للرواية النسوية العربية التي وصفت وقت صدورها بأنها رواية عفوية ثائرة على الهيمنة الذكورية، ومتمردة على الأساليب المتبعة في حينها في كتابة القصة الطويلة. إذ عالجت بعلبكي أبطالها ببساطة ووضوح في اغترابهم عن ذواتهم وتمرّد المرأة على الكليشيهات الذكورية والاجتماعية والثقافية. تعدّدت الروائية المثابرة أن تكون روايتها الثانية «الآلهة الممسوخة» في عام 1960 رواية معقدة، بنباء سردي واضح وصعب. بعدما كان البناء في «أنا أحيا» خفياً يسري كسلك من الحرير الناعم الشفاف في جسم الرواية، استُبدل البطل الواحد بشخصيات عدة في «الآلهة الممسوخة». رمت بعلبكي شخوصها في قلب التجربة فعالجت عوالمهم وحيواتهم من الداخل لتواجه بشجاعتها الفريدة «الجدار المقدس» أو عذرية الفتاة، «فعبر هذا المعبود، تبدأ تفاصيل حياتنا في هذا المجتمع الشرقي الكبير المتعدد الطوائف الذي يغلي بالثورات والحنين إلى الماضي. ونحن منه نحب، ومنه ننجب الأطفال، ومنه نسجد في بيوت الله، ومنه نأكل خبزنا، وهو الذي يحدّد سبب هنائنا، وهو ميزان كرامتنا، وانطلاقاً منه تتفرع سلطات العائلة الأم والأب ورئيس الدولة ونجاح النواب في الانتخابات ونظرة الجيران والغرباء إلينا. هو باختصار سبب وجودنا في الحياة وهو الموت». استمرت بعلبكي في إثارة الزوابع في كتابها الأخير «سفينة حنان إلى القمر» الذي حظرته وزارة الإعلام اللبنانية عام 1964 بحجة أنه كتاب «إباحي» ليرافع عنها المحامي محسن سليم وتبرئها المحكمة، فتسكت من بعدها الأديبة الثائرة إلى الأبد في منفاها الطوعي في لندن بعدما قالت قبيل المحاكمة كلمات ظلت بمثابة المانيفستو في حرية الكاتب والتعبير والإبداع: «لن أعتذر في غرفة المحاكمة، أمام هيئة المحكمة، عن الأشياء التي كتبتها والتي أحاكم من أجلها. إنني جد فخورة بما كتبت. إنني أسأل: هل العطاء هو جريمة؟ ذنب؟ خجل؟ إني أؤكد وأشعر بأن هذه القضية تطاول جميع الأدباء والفنانين وهي تحد من الخلق والفن. إن هذا الشيء معيب بأن أقف أمام المحكمة وأشرح لماذا كتبت. أنا أكتب بحرية. أكتب للنخبة، المثقفين، الأنباء ذوي الأفكار السامية، الأنباء الناس الناضجين. أنا أرفض أن أكتب لمرضى الأخلاق وللمقعدين وللمتأخرين عقلياً».

فجع الوسط الأدبي اللبناني بشكل خاص والجنوبي بشكل عام برحيل الأديب والمفكّر الجنوبي حبيب صادق (1931-2023) الذي تطبّع بأرض جبل عامل لكنةً وتكويناً وثقافةً، في إنجابها للشعراء والأبطال، واستعصاء ترابها على الغزاة والمحتلّين، واجتراحهم الشعر والأغنيات من قلب الجرح النازف في ترابهم ووحدة مصيرها مع جبال الجليل الفلسطيني. تأثّر الولد التاسع عشر للمرجع الديني عبد الحسين صادق إمام بلدة الخيام الجنوبية بحرارة دينية مستمدة من الأشعار والعتابا الجنوبية المختلطة بالمراثي الكربلائيّة، وبالرغبة الفروديّة الأول الذي نظمته «نقابة الناشرين اللبنانيين» حمل اسم «معرض لبنان الدولي للكتاب» وعُدّ بمثابة انقلاب على المعرض السنوي الذي ينظمه «النادي الثقافي العربي» في دورته الخامسة والستين لهذا العام: تميّز كلا المعرضين ببرنامج ثقافي مميز في الشعر والندوات الثقافية والاقتصادية والعروض المسرحية وأنشطة الأطفال، ولم يمنع حشد معرض «فوروم دو بيروت» لمجموعة كبيرة من دور النشر العربية واللبنانية، وضخامة تحضيراته اللوجستية من إقبال الحضور على معرض «بيال» في ظاهرة صحية تكشف عن تعطش القارئ اللبناني للثقافة والكتاب ومحافظة بيروت على تقاليدها العريقة في النشر والقراءة وإنتاج الثقافة. حضر الحدث الفلسطيني في ندوات وأمسيات شعرية وقراءات في المعرضين، في رسالة قوية لتضامن العاصمة اللبنانية مع المقاومة الباسلة في غزة واشتعلت مسكبة النبغ/ تهاوت حنجرة العصفور.../ النار حدود منازلنا/ النار، الأرض، السقف، السوز/ كل الطرقات تؤدّي إلى حولا/ حولا جسدي قلبي المسكين/ في الليل تشتدّ الريح على حولا/ يشتدّ المطر المالح/ ينادي الوطن الوالد/ في الليل يقرّ الوطن الوالدْ/ يتوارى العلم الشاهدْ/ لا يبقى إلا حولا والجدّار».

معرضان للكتاب نعمة أم نقمة؟

ضجة كبيرة أثارها تنظيم معرضين للكتاب لا يفصل بينهما شهر واحد في بيروت. المعرض الأول الذي نظمته «نقابة الناشرين اللبنانيين» حمل اسم «معرض لبنان الدولي للكتاب» وعُدّ بمثابة انقلاب على المعرض السنوي الذي ينظمه «النادي الثقافي العربي» في دورته الخامسة والستين لهذا العام: تميّز كلا المعرضين ببرنامج ثقافي مميز في الشعر والندوات الثقافية والاقتصادية والعروض المسرحية وأنشطة الأطفال، ولم يمنع حشد معرض «فوروم دو بيروت» لمجموعة كبيرة من دور النشر العربية واللبنانية، وضخامة تحضيراته اللوجستية من إقبال الحضور على معرض «بيال» في ظاهرة صحية تكشف عن تعطش القارئ اللبناني للثقافة والكتاب ومحافظة بيروت على تقاليدها العريقة في النشر والقراءة وإنتاج الثقافة. حضر الحدث الفلسطيني في ندوات وأمسيات شعرية وقراءات في المعرضين، في رسالة قوية لتضامن العاصمة اللبنانية مع المقاومة الباسلة في غزة واشتعلت مسكبة النبغ/ تهاوت حنجرة العصفور.../ النار حدود منازلنا/ النار، الأرض، السقف، السوز/ كل الطرقات تؤدّي إلى حولا/ حولا جسدي قلبي المسكين/ في الليل تشتدّ الريح على حولا/ يشتدّ المطر المالح/ ينادي الوطن الوالد/ في الليل يقرّ الوطن الوالدْ/ يتوارى العلم الشاهدْ/ لا يبقى إلا حولا والجدّار».

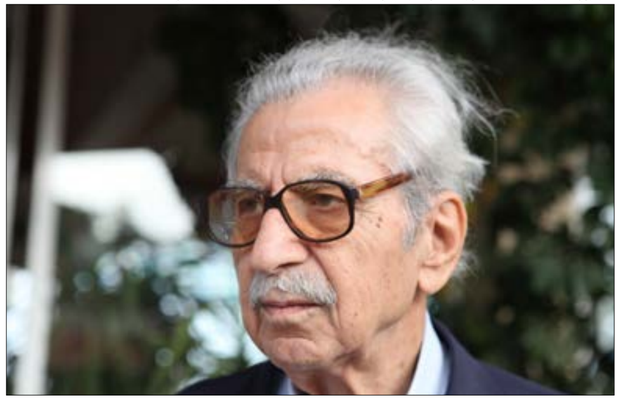

اندمج وعي حبيب صادق باكرا بالكفاح الطبقي والعمال و«الشغيلة» والفلاحين (كامل جابر)

رواية في صدارة المشهد

كوكبة من الإصدارات المميزة في النقد والشعر والرواية واظبت عليها الأسماء الكبيرة في الشعر اللبناني والرواية والقصة القصيرة، إضافة إلى أسماء بدأت تتلمس طريقها على الساحة الأدبية اللبنانية والعربية: الشاعر شوقي بزيع أصدر كتاباً نقدياً مرجعياً بعنوان «زواج المبدعين: ثراء المتخيل وفقر الواقع» عن «دار مسكيلياني» التونسية تناول فيه العلاقات الزوجية الإشكالية والشائكة مع الزواج والارتباط لكثير من الأسماء اللامعة في سماء الثقافة والأدب مثل بابلو بيكاسو، وسيمون دو بوفوار، وجان بول سارتر، ونيكوس كازنتزاكيس وسعيد عقل وغيرهم، بينما أصدر الشاعر جودت فخر الدين كتاباً حوارياً مشتركاً مع الشاعر إسكندر حبش بعنوان «غيمة فوق سور الحديقة» عن «دار خطوط وظلال» استعرض فيه صاحب «حديقة الستين» مسيرة أكثر من نصف قرن في الشعر وشؤون وشجون الكتابة والثقافة والنقد والإبداع. الروائية علوية صبح أضافت إلى «الريبيرتوار» عملاً روائياً قوياً بعنوان «أفرح يا قلبي» (دار الآداب). بعد تشريح البيئة الجنوبية التقليدية في «مريم الحكايا»، والإضاءة على ديالكتيك الذكورة والأنوثة في «دنيا» و«اسمه الغرام» و«أن تعشق الحياة»، تنتقل صبح إلى الشمال اللبناني فتتناول الصراعات السياسية والاجتماعية والدينية عبر أجيال ثلاثة في عائلة واحدة في قرية شمالية ضمن رواية «افرح يا قلبي» (دار الآداب) التي تطرح الإشكاليات الثقافية وديناميكيات الصراع والوئام في المجتمع اللبناني المعقّد بإشكالياته الهوياتيّة ضمن قالب لا يخلو من متعة السرد والشغب على كل ما هو جامد ومتحجّر. الروائي رشيد الضعيف تابع ما بدأه في «الأميرة والخاتم» من الحفر في الأسطورة والمخزون التراثي والثقافي للمنطقة، وفي الأحداث السياسية التي طبعت السنوات الأخيرة كانفجار الرابع من آب، فحضرت في روايته الجديدة «ما رأت زينة ولم ترَ» الصادرة عن «دار الساقي» كل الأحزان الكبيرة في الوطن الصغير مختلطة بثيمات ميثولوجية وسياسية. الشاعر عباس بيضون استكمل في مجموعته الشعرية «كلمة أكبر من بيت» (هاشيت أنطوان) عمارته الشاهقة لكينونة شعرية تشرّح الحياة وتمرّقها إلى نتف صغيرة، وتعطي الشاعر القدرة على معاينتها مايكروسكوبياً وتقديمها لنا على شكل قصائد مختصرة حتى حين تتكثّف لوصف الخسائر المتفرّقة والخيبات المرة. كما أنّ بيضون أضاف إلى رصيده الروائي عملاً جديداً بعنوان «حائط خامس» (هاشيت أنطوان) الذي ينبيه صاحب «خريف البراءة» على ثلاثة أصوات سردية: الأول هو صوت عالم الدين العائد من النجف إلى جنوب لبنان. والثاني لصديقه الشاعر الباحث عن هويته بين القرية والمدينة، وبين أصله البروتستانتي من جهة وميله إلى الوجودية من جهة أخرى. وبينهما صوت ثالث: المرأة التي تتارجح في الحب بينهما. تحضر ويلات الحرب الأهلية اللبنانية بكثافة في رواية بيضون عبر قصص شخصية، لأبطال فضّلوا أن يخوضوا معاركهم الخاصة على هامش الحرب الكبيرة. الروائية إيمان حمدان تناولت التاريخ اللبناني بعمقه النسوي في «أغنيات للعتمة» (دار الساقي)، بأسلوب تنطق فيه الرواية بلسان أجيال نسائية متعاقبة في سرد لا يخلو من الشعرية يجد فيه الزمن سياقه في الألم والأمل.

في الإصدارات الجديدة برزت رواية «امرأتان» وهي العمل الأول لريما سعد عن «دار هاشيت-أنطوان». لعبة مرايا لافتة في المكان والزمن بين بيروت والبندقية، والحاضر والماضي في سرد حسّي لا يخلو من الجرأة وتناول المواضيع الشائكة من قبيل الروحانية والتديّن والجنس، ما أدى إلى حظر الرواية في معارض عربية عديدة للكتب مثل الرياض وجدة. رواية أخرى مميزة للإعلامي غدي الموسوي حملت عنوان «ياقوت من خوابي الشقيف» عن «دار البيان العربي» هي أشبه بكاميرا متنقلة على نضال جبل عامل بوجه الغزاة والمحتلين وتفاعل المكونات الحضارية المشرقية كافة في صياغة الروح المناهضة للاحتلال والغزاة الذين اندحروا عن هذه الأرض من الصليبيين حتى أرييل شارون. رواية «شطوب في المرآة» لدلال باغي عن «دار الرافدين» تتخذ هي الأخرى من الجنوب منطلقاً للسرد وتزاوج فيها بين التاريخ وما يرافق الإنسان من تناقضات وقلق وفقد وعزلة وعنف. أما رواية حنين الصايغ «ميثاق النساء» عن «دار الآداب» فتناولت الصراع الصعب لثورة امرأة على التقاليد ضمن النسيج الطائفي اللبناني.

إصدارات شعرية أغنت المشهد الذي طغت عليه الرواية، ولا سيما «تتأخر في الحياة» لإسكندر حبش عن «دار دلمون»، إضافة إلى حوارية بعنوان «هجرتان وأوطان كثيرة» أجرتها معه الشاعرة دارين حمامي، و«رجل للبيع بهزّ بالأبد بلية مصرع لقمان» لشبيب الأمين عن «دار رياض الريس»، و«الذين يموتون خلف أعمارهم» وهو عمل ملحمي أهداه الشاعر بول شاوول إلى أطفال غزة، و«قلبي يقيني» لزاهي وهبي عن «دار الرافدين»، و«كوريغرافيا رجل الضواحي» لأنطوان أبو زيد وإعادة طباعة «نوادر الملا نصر الدين الصغرى» لراحل سحبان مروة عن «دار النهضة العربية». أما في السياسة فبرز كتاب فواز طرابلسي «زمن اليسار الجديد» عن «دار رياض الريس» وهو عبارة عن شهادة الكاتب والمنظّر الماركسي في تنظيمات عديدة من «اليسار الجديد» و«منظمة العمل الشيوعي» و«لبنان الاشتراكي» تلخّص تجارب صاحب «صورة الفتى بالأحمر» في أكثر من نصف قرن في ثورات وحركات وتنظيمات اليسار الماركسي اللبناني والعربي، وكتاب حازم صاغية «في أحوالنا وأحوال سوانا» (دار الساقي) الذي يناقش مواضيع شائكة مثل التاريخ الغربي والمقارنة بين أحوال العرب والغرب وحركات التحرر العربية والانقلابات العسكرية وغيرها. كتاب مميز عن «دار زمكان» بعنوان «الصدر: سحر الحضور والغياب» للكاتبين شادي منصور وعبد الحليم حمود تناول حياة الإمام موسى الصدر بطريقة تحقيقية غير تقليدية اعتمدت على السفر وحطام المدن، والخيانات. يوميات مضادة تنطوي على سخط عمومي مما آلت إليه أحلام جيله، حاملاً على ظهره سناماً من الهزائم والاندحارات والخديعة، إذ تهتز صورة المثقف الثوري أمام أهوال ما حدث ويحدث في خرائط سريالية، يعالجها ببسالة الاعترافات.

ثمّ سيخطف الموت القصّاص ناظم مهنّا، أحد أبرز أبناء جيل الثمانينيات في لحظة عبثية مباغتة أو هزّة ارتدادية

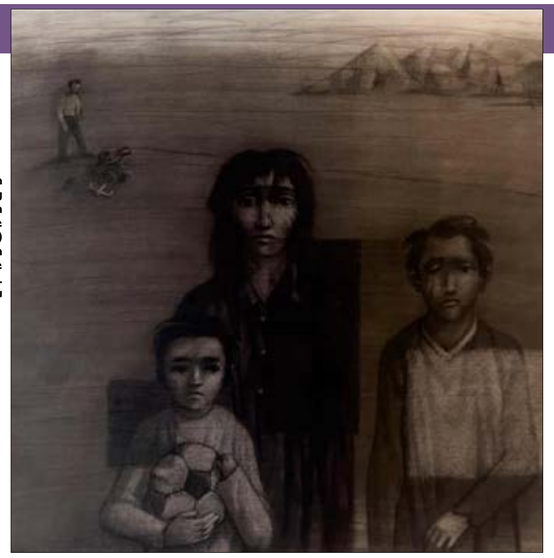

صدور فيلم وكتاب عن مسيرة يوسف عبدلكي (الصورة لوحة من فحم وورق على كانفاس ــ 104 × 104 سنتم ــ 2022)

وحدها الساحة التشكيلية نجت من «الزلزال»

دمشق ــ **خليل صويلح**

ماذا تنتظر من عام بدأ بزلزال؟ كان سنوات الحرب المدمّرة لا تكفي لتأليف التراجيديا السورية. من تحت الركام، نستعيد الاستغاثات وقوائم الغائبين، فمفكرة 6 شباط (فبراير) لا تشبه ما بعدها، لجهة الأسى. ههنا فالقٌ صخري في الرأس يصعب نسيانه. صور سريالية عصية على الفهم، ومشهديات مرعبة، غير قابلة للمحو، كما لو أننا إزاء تشكّل منعطفاً في الثقافة السورية التي تراوح مكانها منذ سنوات. كان الحريق الذي شهده حي ساروجة الأثري حدثاً مؤلماً، وخصوصاً أنه امتد نحو «مركز الوثائق التاريخية» الذي يقع في قلب الحيّ، هذا المركز الذي يضم نحو خمسة ملايين وثيقة نادرة تعود إلى حقبة العهد العثماني، وفترة الانتداب الفرنسي، وحكومات الاستقلال (سجلّات المحاكم الشرعية، ووثائق أصول العائلات الدمشقية، والفرمانات السلطانية، والصحف، والجريدة الرسمية «السالنامة» والمخطوطات النفيسة). ستُطوى الصفحة، من دون أن يصل أحد إلى فكّ لغز الحرائق المتعاقبة، أو أن يُجيب عن الأسئلة حول سلامة هذه الوثائق.

على المقلب الآخر، يصعب إحصاء أرقام عدّاد الموتى في خانة المبدعين، ذلك أننا قضينا أوقاتاً في صالات العزاء أكثر من تلك التي خصصناها للشأن الثقافي. هكذا غاب أولاً، الشاعر شوقي بغدادي طاوياً سيرة مثقلة بالذكريات. فهذا الشاعر الدمشقي العتيق خبر حياة طويلة سجّلها بأحبار مختلفة. دائماً ما أبحرت سفينته في أكثر المياه عمقاً، من دون أن يصل إلى يقين، في تجوال طليق بين الشعر والقصة والرواية والصحافة والسجالات الثقافية. حنجرة غاضبة لم تتوقف يوماً عن الهتاف، وإذا به يؤرّخ لقرن مضطرب بكل أحلامه وخيباته وآماله. وستتبعه التشكيلية الرائدة ليلى نصير بعد رحلة شاقة مع الوحدة والألم والخسارات. القوس المشعّ الذي خطّته التشكيلية السورية الرائدة بجرأة وتمرّد وعنفوان، أغلق على جسد نحيل فوق سرير في دار المسنين. كما غيّب الموت الموسيقار أمين الخيّاط لينتحق بكوكبة من الملحنين السوريين الذين وضعوا الأسس المتينة للأغنية السورية أمثال سهيل عرفة، وعبد الفتاح سكر، وشاكر بريخان. لكن الخيّاط شقّ طريقه منفرداً إلى العزف على آلة القانون. وخسرت مدينة حلب عبد الفتاح قلعه جي، تاركاً في رصيده نحو 100 مسرحية، إضافة إلى بحوث جدية حول المسرح العربي في محاولات دؤوبة لتأصيل نصّ يضيء الخشبة كفرجة شعبية في المقام الأول.

وفي طرطوس انطفأ حيدر حيدر طاوياً رحلة طويلة بين المنافي، قبل أن يستقر في سنواته الأخيرة في قريته «حصين البحر» كنوع من العزلة الاختيارية، لكنه سيودعنا مذكراته «يوميات الضوء والمنفى» قبل رحيله بأشهر، حيث يؤرخ لخسارات متتالية، وهو يرى أحوال التدهور والتدجين وحطام المدن، والخيانات. يوميات مضادة تنطوي على سخط عمومي مما آلت إليه أحلام جيله، حاملاً على ظهره سناماً من الهزائم والاندحارات والخديعة، إذ تهتز صورة المثقف الثوري أمام أهوال ما حدث ويحدث في خرائط سريالية، يعالجها ببسالة الاعترافات.

ثمّ سيخطف الموت القصّاص ناظم مهنّا، أحد أبرز أبناء جيل الثمانينيات في لحظة عبثية مباغتة أو هزّة ارتدادية تشبه مناخات قصصه العجائبية. خذله قلبه فجأة، في صبيحة يوم جمعة بارد، قبل أن نستيقظ من أهوال الزلزال الذي أصاب البلاد، ودفن معه «الأرض الطيبة»، و«مملكة هذا التلال»، ومتاهات أخرى ميّزت نصوصه التجريبية.

وسيدفن الروائي وعالم الاجتماع حليم بركات في منفاه الأميركي، بعد أن شهد وقائع قرن كامل لعالم عربي كان يتهاوى تحت ضربات الحروب والهزائم كما سجّلها في رواياته مثل «ستة أيام»، و«عودة الطائر إلى البحر»، إضافة إلى عمله على توثيق واقع مخيمات النزوح الفلسطينية ميدانياً. وسنفتقد أيضاً، المترجم رفعت عطفة الذي أهدى لغة الضاد نفائس من لغة سرفانتس بما يربو على نحو 70 عنواناً، أبرزها «دون كيخوته» لميغيل دي سرفانتس، ومذكرات غابرييل غارسيا ماركيز «نعيشها لنرويها»، و«البيت الأخضر» لماريو فارغاس يوسا، و«صورة عتيقة»، و«الخطة اللانهائية» لإيزابيل الليندي، و«المخطوط القرمزي» لأنطونيو غالا، و«كتاب التساؤلات» لبابلو نيرودا. على أن الفجيعة الكبرى التي أصابت الوسط الثقافي بضربة لا تحتمل، هي رحيل الروائي خالد خليفة، قبل أن يُتم عامه الستين على إثر جلطة قلبية باغتته وحيداً في منزله في دمشق، من دون أن يتمم البروفة النهائية لمخطوطته الروائية الأخيرة «غرفة بصاق للعتمة» التي أرادها تحية لمدينة الناظرة التي استقر جزئياً على ضفاف بحرها، في أعوامه الأخيرة. كما لن يتمكن من إتمام الدفتر الثاني من «نسر على الطاولة المجاورة» الذي خصصه لتجربته في الكتابة ومفهومه للسرد الروائي، فيما أقيم معرضه التشكيلي الأول في صالة في المنامة بغيابه في صالة «آرت كونسبيت»، لكنه حرص عبر مجموعة من الأفلام القصيرة والمقابلات مع الراحل. وقبل أيام غاب الموسيقار نوري إسكندر في منفاه السويدي، تاركاً خلفه كنوزاً من التراث الموسيقي السرياني.

حضر يوسف عبدلكي بأكثر من مرة، إذ استضافته «غاليري كامل» في دمشق في معرض لأعماله الأخيرة، حيث يستنطق بالأبيض والأسود في مسعى لأرشفة وقائع العشرية السوداء التي طوتها البلاد جزئياً بحدّ السكين في جداريات تختزل فهرس الكارثة. وفي وقت لاحق، أصدرت الغاليري نفسها البوماً ضخماً يوثّق أعمال هذا التشكيلي البارز في فترة السبعينيات من القرن المنصرم. من جهته، حقّق المخرج محمد ملص وثائقياً عن تجربة يوسف عبدلكي بعنوان «أنا يوسف يا أبي» في رصد حميمي لأبرز محطاته التشكيلية. لنقل إنّ العام المنصرم كان تشكيلياً في المقام الأول نظراً إلى عودة الصالات إلى العمل بعد توقّف، فتابعنا معارض بتواقيع غسان نعنع، وإدوار شهدا، وعبد الله مراد، وفادي يازجي، وجمعة نزهان، وسيهان آدم، إضافة إلى أكثر من ملتقى للنحت، فيما استعاد منذر مصري أعماله المبكّرة في معرض لافت. وقبل أن يطوي العام، صدرت أعماله الشعرية الكاملة في ثلاثة مجلدات (دار أثر)، ومختارات شعرية بعنوان «خطوات على مسطبة إسمنت حديثة الصّب» (دار راية للنشر).

ستمرّ مئوية نزار قباني بلا صدى يوازي العاصفة الشعرية التي حققها في مسيرته الاستثنائية كظاهرة بحجم قارة شعرية كاملة دائماً ما عملت على معاكسة التيار، بثورته على معجم الخدر والغيبوبة والدروشة، ساعياً إلى تغيير طقس العالم وكتاب العشق. هكذا جاءت احتفالية «أنا وردتكم الدمشقية» التي توزّعتها المراكز الثقافية في دمشق باهتة مثل واجب مدرسي ثقيل، لا تليق بقامته الشامخة وحضوره في الذاكرة الجمعية العربية.

حصاد الثقافة 2023

جبّانات القاهرة شغلت المثقفين... وغزّة أربكت كلّ الحسابات

القاهرة ــ **أحمد فوزي**

بداية عام 2023 ليست كنهايته، فقد بدأ العام ثقافياً في مصر بشكل عادي وبارد من دون أحداث يمكن الاتكاء عليها كعلامات ثقافية للعام ككلّ. إلا أن نهايته هي ما يجب التوقف عندها، فقد أربكت الحرب الإسرائيلية على غزة منذ السابع من تشرين الأول (أكتوبر) الماضي الكثير من الحسابات الثقافية أبرزها ما يخص وزارة الثقافية المصرية. رغم أنها تعيش عصراً من عدم التأثير حتى في محيطها الثقافي الصغير، إلا أنّ الحرب على غزة أوقعتها في متاهة لا نهاية لها. هكذا لم تتوقف فعالياتها ومهرجاناتها في البداية ربما ظناً منها أنّ الحرب ستنتهي سريعاً. ثم أوقفت بعض الفعاليات

> شهد العام رحيل يعقوب الشاروني احد روّاد الكتابة للأطفال في العالم العربي

فيما استمرّت أخرى، ما أدى إلى هجوم من المثقفين على هذا الوضع المرتبك بين الوزارة الأم ومؤسساتها الأخرى. لكن عموماً، أعادت الوزارة عملها الطبيعي أخيراً، والبارز فقط هو إلغاء دورة «مهرجان القاهرة السينمائي» الذي يعتبر الحدث الأهم الذي تنظمه الوزارة سنوياً. وشهد المهرجان استقالة المخرج أمير رمسيس الذي كان يشغل منصب المدير الفني للدورة الملغاة، في وقت أقيم فيه «مهرجان الجونة السينمائي»، متفادياً إلغاء الدورة بتخصيص جزء من برنامجه للفلسطين أو الأفلام التي تحكي عنها. واستضاف في الختام المطرب أمير عيد ليقدّم أغنيته «تلك قضية» التي تحكي عن التناقض العالمي في الحكم على القتلى من الجانب الفلسطيني والإسرائيلي. لكن بدا أن الوزارة ـ كجهة رسمية تعبر عن الحكومة المصرية ـ لم ترد وضع نفسها في هذه الزاوية. مع ذلك، كانت بعيدة إلى حد كبير عما يجري في فلسطين، فلم تدخل في فعاليتها جدولاً خاصاً بها. وقبلَ أن ينتهي عام 2023، انكبّت الوزارة على تنظيم «معرض القاهرة السنوي للكتاب» الذي ستحلّ النرويج ضيفة شرف عليه، على أن يبدأ في كانون الثاني (يناير) 2024.

ما حدث في جبانات القاهرة التاريخية من أعمال هدم واعتداء على الآثار والمعالم الثقافية والتاريخ الممتد إلى القاهرة، حرك كثيراً من المياه الراكدة في الثقافة المصرية. فقد أدى ما قامت به الحكومة إلى اشتعال عاصفة من الجدل، سواء من مثقفي مصر في الداخل أو الخارج. وطالب مثقفون مصريون بوقف أعمال الهدم والاستغناء عن أي مشروع ـ غالباً كوبري أو طريق ـ مهما كانت أهميته إذا كان على حساب التاريخ المصري في هذه المنطقة الذي يمتد إلى قرون سابقة. ورغم أن أعمال الهدم توقفت من دون إعلان رسمي من قبل الحكومة عما سيحدث بعد ذلك، إلا أن الأزمة نفسها كانت إشارة إلى أن سعي وزير السياحة المصري السابق خالد عناني تجاه منصب مدير اليونسكو، لن يكون سهلاً في وقت تفعل فيه حكومة بلاده «بلاوي» مع منطقة موضوعة على قائمة التراث العالمي التابعة لليونسكو.

على صعيد الجوائز، فاز الموسيقار المصري عمر خيرت (1948) في شهر أيار (مايو) 2023 بجائزة شخصية العام الثقافية ضمن دورة «جائزة الشيخ زايد للكتاب»، تكريماً لمسيرته الموسيقية الطويلة التي قدّم خلالها الآف الألحان الشهيرة سواء لأغنيات أو مسلسلات أو أفلام، إذ رافقت موسيقاه التصويرية أفلاماً مصرية هامة مثل «البحث عن توت عنخ آمون» (1997)، و«السفارة في العمارة» (2005)، و«مافيا» (2003). وفي حين خرجت الروائية المصرية ميرال الطحاوي من القائمة القصيرة لـ «بوكر» العربية عند إعلان الجائزة في عام 2023، فاز الروائي العماني زهران القاسمي بها عن روايته «تغريدة القاف» بعد توقعات بأن تحسمها هذه المرة رواية الطحاوي «أيام الشمس المشرقة» ووصولها إلى القائمة القصيرة للمرة الثانية في تاريخها. لكن يبدو أن الجائزة التي يُشاع أنها سياسية أكثر مما هي ثقافية، أبت أن تذهب إلى مصر هذه المرة، بعدما بدأ الفوز بها مصرياً حين كانت من نصيب الأديب الراحل بهاء طاهر عام 2008 عن روايته «واحة الغروب». وقبل أن ينقضي 2023، شهد أيضاً إعلان «بوكر» عن روايتين مصريتين في قائمتها الطويلة «كل يوم تقريباً» لمحمد عبد النبي، و«مقامرة على شرف الليدي ميتسي» لأحمد المرسي. وكلاهما من الكتّاب الشباب، ولو حاضراً كعادته في ذلك العام مغيباً أكثر من شخصية في الوسط الثقافي. قائمة الغياب طالت عناني، والروائي حمدي أبو جليل (1967 ـ 2023) في مفاجأة هزت الوسط الثقافي المصري، قبل أن تُصدر «دار الشروق» روايته الأخيرة «ديك أمي». عنوان يشير إلى الكاتب والروائي الذي طالما حكى عن أمه وعلاقته بها في معظم كتاباته. وعلى قلة إصدارات أبو جليل، إلا أنه كان يعتبر الروائي الذي جاء من صحراء محافظة الفيوم، الذي كانت أعمال شكسبير المسرحية من أهم ما ترجمه، إلى جانب أعمال إدوارد سعيد وآخرين. وقد كان عناني أول من فقدهم المشهد الثقافي المصري في عام 2023، فقد كان الموتّ

شهد 2023 جريمة بحقّ جبانات القاهرة التاريخية (اسماء وجيه)

القاهرة وشوارعها وجوامعها. وفي شهر أيلول (سبتمبر) 2023، خطف الموت الكاتب كمال رحيم (1947 ـ 2023)، صاحب ثلاثية جمالي وهي «يوميات مسلم يهودي»، و«أيام الشتات» و«شمعدانات ومآذن». يعتبر رحيم آخر الذين وثّقوا حياة اليهود في مصر في القرن العشرين، خاص تجارب قصصية أخرى، وحصل على جوائز عدة مثل «جائزة الدولة التشجيعية» و«اتحاد الكتاب» و«جائزة الدولة التقديرية» عام 2022. وفي تشرين الثاني (نوفمبر) 2023، توفي كاتب الأطفال الشهير يعقوب الشاروني عن 92 عاماً. كتب للأطفال قرابة 400 كتاب، وشارك في أنشطة ثقافية حكومية وخاصة جعلته واحداً من روّاد الكتابة للأطفال في مصر والعالم العربي. وكان من أبرز إصداراته «ألف حكاية وحكاية» الذي صدر في عشرة أجزاء، ليحمل عنوان مقالاته في صحيفة «الأهرام».

ومن أبرز الإصدارات في عام 2023، روايات «حامل الصحف القديمة» للكاتب والروائي إبراهيم عبد المجيد (1946) الذي يُعتبر من روّاد الرواية العربية، وتحمل روايته حكاية ليست ببعيدة تلت ثورة 25 يناير 2011 في مصر، وتفشي وباء كورونا، جامعة بين ماض قريب وأحداث وقضايا واقعية أثرت في حياة المصريين. ودائماً ما تستقبل أعمال عبد المجيد بحفاوة بالغة، فهو غزير الإنتاج حصل على جوائز عدة، وتحولت بعض نصوصه إلى أفلام سينمائية. كما صدرت المجموعة القصصية «أيام عادية» لعادل عصمت الذي فاز بـ «جائزة ساويرس لكبار الكتاب» عام 2019. في هذا العمل، واصل عصمت إنتاجه المهم، مقدّماً شخصيات مغايرة ولصيقة بالواقع المصري عبر حكايات قصيرة لا تزيد عن ثلاث صفحات في الأغلب. أما كتاب «صحوة المحكومين في مصر الحديثة» للكاتب محمود حسين (اسم مستعار لكاتبين) فكان أبرز كتب عام 2023، إذ يؤرخ لجزء مهم في تاريخ المصريين منذ عصر محمد علي، حين بدؤوا التحول التدريجي ليصبحوا مواطنين بدلاً من رعايا للأنظمة الحاكمة. ويمزج الكتاب بالثورات التي خاضها المصريون سواء تجاه المحتل مثل ثورة 1919 أو ضد حكامهم مثل ثورة 25 يناير 2011. ورغم أنّ مؤلفي الكتاب يعيشان في فرنسا منذ سنوات طويلة، إلا أنهما استطاعا أن يقدّما عملاً عرض لجوانب كثيرة على ضفاف العنوان الرئيسي مثل علاقة المصريين بالإله، ومحاولاتهم كتابة الدستور أكثر من مرة، والطرق التي ساروا فيها من أجل الديموقراطية التي لم تتحقق حتى نهاية 2023!

غابت «أيّام» قرطاج... والجمهور نجم المهرجانات

تونس ــ **نورالدين بالطيب**

في عام 2023، استعادت الحياة الثقافية في تونس نسقها العادي بعد الاضطراب الذي عانته بسبب عامين من كوفيد 19 وتبعاته. محطات كثيرة عاشتها على مستوى المهرجانات والإنتاج الأدبي والفني في المسرح والسينما والفنون التشكيلية والموسيقى. من السمات التي ميّزت عام 2023 عودة مجلّة «الحياة الثقافية»

> عودة المسرح الوطني إلى الواجهة بعد عامين من الغياب

(تأسّست عام 1976) بعد عامين من الانقطاع رغم أنّها المجلّة الوحيدة في البلاد التي تصدرها وزارة الثقافة. ومن المكاسب التي تحقّقت للمسرحيين والسينمائيين افتتاح دار «المسرحي» التي تأسّست في عام 1993، لكنّها كانت فضاء بسيطاً غير ملائم للمواصفات العالمية في دور العرض، قبل أن تخضع للتهيئة لتصبح فضاء للعروض في ضاحية باردو القريبة من وسط العاصمة. كما افتُتح فضاء ثقافي جديد في ضاحية بن عروس غرب التي تعاني من نقص الفضاءات، وخصوصاً قاعة العروض. مُؤَوَّل الفضاء الجديد من قبل جمهورية الصين الشعبية وأُنجز وفقاً لأحدث النُظم التقنية والفنية.

وشهد عام 2023 نجاح موسم المهرجانات الصيفية، وهي ميزة الصيف التونسي منذ منتصف ستينيات القرن الماضي، فقد عاشت معظم المدن الكبرى، وخصوصاً قرطاج والحمامات، وبنزرت، وسوسة، والمنستير، وصفاقس، وقابس، وقفصة ليالي مع نجوم الموسيقى من العالم العربي، وحقّقت إقبالاً استثنائياً في الصيف الماضي.

في الفن السابع، كان غياب مهرجان «أيّام قرطاج السينمائية» مثيراً للجدل، فللمرة الأولى يغيب هذا الحدث العريق، بعدما أعلنت وزارة الثقافة قبل ساعات من افتتاح المهرجان عن إلغاء دورة 2023 تعاطفاً مع غزّة الجريحة. قرار رفضه معظم السينمائيين وأثار استياء عشّاق السينما الذين اعتبروا أنّه كان يمكن توظيف المهرجان في خدمة القضية الفلسطينية التي كانت «لأيّام» تاريخياً منصّة لها ولقضايا التحرر الوطني والعدالة الاجتماعية ومواجهة الاستعمار والصهيونية والإمبريالية.

ورغم غياب «الأيّام»، شهدت القاعات التونسية إقبالاً كبيراً على الأفلام الجديدة، وخصوصاً «بنات ألفة» لكوثر بن هنية الذي شارك في «مهرجان كان السينمائي». ومن الأفلام اللافتة أيضاً، فيلم «إبرة» لعبد الحميد بوشناق، و«المابين» لندى المازني وهما من المخرجين الشباب تناولا في الفيلمين موضوع «مزدوجي الجنس» الذي يعتبر من القضايا المسكوت عنها في المجتمع التونسي ويخفي وراءه معاناة نفسية للعائلات وتنمّر اجتماعي تعانيه هذه الفئة التي لم تختر هذا المصير الموجع. تشابهه الموضوع أثار جدلاً، إذ اتّهمت المخرجة ندى المازني زميلها بوشناق بـ «سرقة» فكرة الفيلم. أمر نفاه عبد الحميد بوشناق، مؤكّداً أن الالتقاء في الفكرة نفسها ليس ممنوعاً لأن لكل مخرج وجهة نظر ونظرته الفنية الخاصة. ومن الأفلام التي سجّلت حضورها في الشارع الفني «بيستارود» لنجيب بلقاضي الذي أعاد تقديمه بعد عشر سنوات على عرضه الأوّل، لكن بنظرة ومونتاج ورؤية جديدة.

شهد عام 2023 عودة المسرح الوطني (1983) إلى الواجهة بعد عامين من الغياب. على أثر مغادرة المخرج المعروف فاضل الجعايبي، عُيّن معز مرابط مديراً عاماً لـ«مؤسسة المسرح الوطني»، ما منحه نفساً جديداً بعد أربعين عاماً على تأسيسه. نجح مرابط في إحياء «أسبوع المسرح التونسي» الذي توقّف في عام 1990 بعدما كان قد انطلق في بداية السبعينيات. «أيّام قرطاج المسرحية» التي تأسّست في 1983، استعادت ألقها بدورة استثنائية ترافقت مع صدور كتاب فني فاخر يوثّق لذاكرة المهرجان أعدّه الباحث والأكاديمي محمود الماجري. وفي عام 2023، تابع الجمهور أعمالاً عديدة منها «شعلة» لأمينة الدراساوي و«الهروب من التوبة» لعبد الواحد مبروك و«الفيرمة» لغازي الزغباني و«عشاء الكلاب» ليوسف مارس و«ماياراوش» لمنير العرقي و«قونة... قاعة انتظار» لفرحات دبّش وغيرها.

منذ بداية طوفان الأقصى في السابع من تشرين الأول (أكتوبر) 2023، احتلّت فلسطين محور كل التظاهرات الثقافية سواء في الفضاءات الرسمية أو الخاصة. شهدت المدن التونسية أنشطة ثقافية محورها فلسطين بعرض أفلام فلسطينية أو أخرى قاربت القضية، إلى جانب ندوات فكرية حول الحركة الصهيونية وتاريخها الإجرامي وثقافة المقاومة وأدباء فلسطين أمثال محمود درويش، وسميح القاسم، وتوفيق زياد، وأميل حبيبي وغيرهم. ومعارض تشكيلية ومعارض كتب ووثائق حول فلسطين. وفي السياق نفسه، قدّم المطرب لطفي بوشناق والممثلة هند صبري وهما من نجوم الثقافة التونسية، استقالتهما من منصب «سفير النوايا الحسنة» احتجاجاً على الصمت المريب إزاء مجزرة القرن.

المكتبات التونسية شهدت في عام 2023 طبعات جديدة لكتب قديمة حول فلسطين منها كتاب المؤرخ الهادي التيمومي عن الحركة الصهيونية وعناوين أخرى منها «الحدث الوحش» لفتحي ليسير حول تداعيات أزمة كوفيد 19 في العالم وتعاطي المفكرين والإعلاميين معه وكتاب ألفة يوسف «حبيبات الله» الذي تتبّعت فيه خطى الوليات الصالحات.

وككل عام، فقدت تونس مجموعة من الشخصيات البارزة منها «رائد فن العرائس» لسعد المحواشي عن 63 عاماً، و«ذاكرة المسرح التونسي» محمد كدوس عن 81 عاماً، والفنّان فيصل رجيبة عن 59 عاماً. وسجّل عام 2023 حادثة مؤسفة في مدينة القيروان، إذ سقط جزء من جدار المدينة العتيقة وتسبّب في وفاة ثلاثة عمّال كانوا يعملون في ترميم المعلم التاريخي.

شهدت القاعات إقبالاً كبيرا على الأفلام الجديدة، وخصوصا «بنات ألفة» لكوثر بن هنية

لولا يوسف الصائغ... لمرّ العام بلا عواصف (ثقافية)

بغداد ــ **علي محمود خضير**

تعبرُ الثقافة العراقية إلى العام الميلادي الجديد بخيط من التفاؤل والطموحات مع عودة الدعم الحكومي لفعاليات الثقافة المؤسّسية في ظل انتعاش أسعار النفط، ووفرة الخزينة المالية مع توجّه سخّي في الإنفاق. هذا العنوان الأبرز لحصاد سنة شهدت عودة مهرجانات الشعر والمسرح والسينما التي تلقّت، كلها، دعماً من الحكومة، إذ كانت عبارة «برعاية دولة الرئيس...» تتصدر اللافتات التعريفية. الإنجازات الفردية على صعيد الجوائز والمسابقات، ظلت على الدوام بوابة لمشهد ثقافي منتج. غير أن تراجع حضور معارض الكتاب وتحديات ارتفاع أسعار الورق وغياب أسماء لامعة في الأدب والفن العراقيين، تركت ظلالاً كثيفة على المشهد الذي خالط الأمل فيه مرارة الفقد.

لم يحدث شيء مفارق ثقافياً في 2023، عن السياقات التقليدية المستقرة نفسها منذ عقدين. لا ظواهر ولا أحداث مدوية. مضى وقت تكون فيه الثقافة مركزاً للأحداث. هي اليوم مكمّل لديكور يراد له أن يبدو جميلاً. لم يظهر في عام 2023 مثقف يزعج النظام على رأي سارتر، ولا شاعر يطلق بيانات موت النقد. مرّ العام بلا عواصف ثقافية، نستثني من ذلك الضجة التي رافقت إصدار يوميّات يوسف الصائغ (1933- 2005) والاتهامات (الخطيرة) التي تضمنتها مقدّمة محقّق الكتاب ودفاع بعض الأدباء عن الصائغ.

مستشارية الثقافة

مع بدء العام الجديد، وتحديداً في 18 كانون الثاني (يناير) 2023، أصدر رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني أمراً بتعيين عارف الساعدي مستشاراً له للشؤون الثقافية. تلقت الأوساط الأدبية الخبر بترحيب، وعُدّت الخطوة بداية صفحة جديدة مع الملف الثقافي الذي دائماً ما عانى الإهمال والتهميش من الرئاسة العراقية. لاحقاً، بدأ المشهد الثقافي يلمس أثر هذه التسمية، فقد أسهم الساعدي في تسهيل عشرات أوامر الرعاية الرئاسية لمهرجانات ومؤتمرات وقرارات تدعم العمل الثقافي في حالة غير مسبوقة منذ احتلال العراق عام 2003، تكلّلت بقرار السوداني، مطلع كانون الأول (ديسمبر) الماضي، بتخصيص 13,5 مليار دينار عراقي لدعم الأدب والفنون. المشروع الطموح يغطي تكاليف دعم فعاليات ثقافية وأنشطة أدبية ومعارض فنية ومشاريع طباعة، فضلاً عن دعم قطاعات السينما والمسرح وأدب الطفل، مع رعاية خاصة لـ «اتحاد الأدباء والكتّاب العراقيين». جلب المشروع السخي تساؤلات عن ضرورة مراقبة الأموال المصروفة بشكل دقيق وضمان إنفاقها على مشاريع جادّة، مراقبة مالياً، حتى لا تتكرر فضيحة مشروع «بغداد عاصمة الثقافة العربية» التي لا تزال أصداء مخالفاتها المالية تثير جدلاً واسعاً في المشهد الثقافي.

معارض الكتاب: انقسام وخفوت

بعدما كان العراق البلد العربي الوحيد الذي يملك سبعة معارض «دولية» للكتاب في السنوات الماضية، والرقم لا يدل على انتعاش سوق القراءة بقدر ما يعني انقسام مؤسسة الناشرين، تراجع حضور معارض الكتاب في البلاد وشهد عام 2023 بداية انحسار ظاهرة معارض الكتاب العراقية. بينما شهدت الأعوام الماضية إقامة معرضَين دوليين في بغداد وحدها، ومعرضاً في البصرة والنجف وكربلاء وأربيل والسليمانية، تقلص الرقم إلى أربعة فقط: معرض أربيل (نيسان)، معرض النجف (أيار)، معرض بغداد (أيلول)، معرض السليمانية (تشرين الثاني). وشهد عام 2023 حجب «مؤسّسة المدى» العريقة معرضها الأساسي «معرض العراق الدولي للكتاب» للمرة الأولى منذ انطلاقته. قرار لا يمكن قراءته إلا في ضوء تأثير انقسام مؤسّسة الناشرين في البلاد إلى مؤسستين: «جمعية الناشرين والكتبيين في العراق» و«اتحاد الناشرين العراقيين». وقد اشتعلت الخلافات بينهما أخيراً وتبادلا، مراراً، التراشق بالبيانات، لكن الخاسر الوحيد هو القارئ العراقي. فقد عزفت دور النشر العربية عن الحضور إلى العراق، وتراجعت المبيعات في ظل «تخمة» المعارض وتعدّدها، واضطر المنظمون إلى جلب مشاهير التواصل الاجتماعي والممثلين لبث الروح في الجسد الذي انحسرت عنه الحياة.

في خضم هذا المشهد المتلبس، استقبل شط العرب في البصرة سفينة «لوغوس هوب» أكبر معرض كتاب عائم بعدما طافت 160 بلداً حول العالم. عرضت السفينة أكثر من 5000 عنوان واستمر عرضها لأكثر من أسبوعين وتلقت حفاوة من أهالي المدينة النفطية وزيارات لسوّلين وطلاب جامعة ومدارس، فضلاً عن إقامة عدد من الأمسيات الأدبية.

مهرجانات... مهرجانات

السمة الأبرز للمشهد الثقافي في العراق هو المهرجان. لا يزال العقل الإداري الثقافي ينظر إلى النشاط الأدبي أو الفني من نافذة المهرجان لا أكثر. هو غير مستعد للمغامرة في تنفيذ برامج خارج الصندوق. أيام معدودة ودعوة محدودة لأسماء تتكرر غالباً يشاركون في ندوات وأمسيات يقرؤون فيها جديدهم أو قديمهم لبعضهم. لذا كان عام 2023 حافلاً بمهرجانات لا تنقطع: «جواهريون»، «الأسبوع الأدبي»، «يوم الأديب العراقي»، «مهرجان الكميت»... كلها تدار من «اتحاد الأدباء والكتاب» في العراق أو فروعه في المحافظات. اللافت كان تأجيل أهم المهرجانات (المربد) إلى شباط (فبراير) المقبل بسبب الحرب على غزة بحسب بيان رسمي. من الجدير التنويه بـ «المشغل السردي الثالث» الذي أقيم في البصرة وقد كانت جلساته على مستوى مائز من الفائدة والجدّية. وقد أقامت وزارة الثقافة مؤتمرات مثل: «مؤتمر المكتبات العامة»، «مهرجان قصائد مغناة»، «أيام السينما العراقية»، فيما كان «مهرجان بغداد الرابع للمسرح» على مدار عشرة أيام علامة فارقة في عام 2023 لما حققه من تفاعل طيب، فيما استضافت جمعية الفنانين «مهرجان كلكامش السينمائي».

نجوم أفلة

حمل العام المنصرم رحيل جملة من الأسماء الرفيعة التي ملأت العقود الماضية تألقاً وإبداعاً في الكتاب والتمثيل والغناء، فغادر عالمنا القاص والروائي عبد الرحمن مجيد الربيعي (1939 ـ 2023)، والكاتب الساخر خالد القشطيني (1929 ـ 2023)، والتشكيلي عاصم فرمان (1956 ـ 2023)، والمحقّق عبد الله السوداني، والفنان المسرحي محسن العزاوي (1939 ـ 2023)، والمترجم جلال زنكابادي (1951 ـ 2023) والكاتبة ابتسام عبد الله (1943 ـ 2023)، فيما ترجل المطرب المعروف ياس خضر بعد صراع مع المرض والشاعر الغنائي كريم العراقي والمطرب علي جودة. وشهد العام المنصرم حلول مئوية الشاعرة الرائدة نازك الملائكة، إذ احتفل العراقيون فيها بإقامة احتفال مركزي في العاصمة دُعي إليه عشرات الضيوف من داخل البلاد وخارجها مع توجّه باحتفاء عام بالملائكة في مدارس الدولة ومؤسساتها.

الجوائز الفردية الحصان الرابح

على صعيد الجوائز والمسابقات، خطف عراقيان «جائزة الشارقة للإبداع/ الإصدار الأول» وهما علي عواد عبد الله (الأولى في الرواية) وسلام جليل عبد الحسين (الثانية في الشعر). فيما وصل الروائي أزهر جرجيس إلى القائمة القصيرة لجائزة «بوكر» العربية. وحاز حسين هليل «جائزة الأدب الشبابي» في الشعر، وأمير رأفت في الرواية ومرتضى عودة في المسرح. وفاز علي الياسري بمسابقة «شاعر شباب العرب» التي أقامتها وزارة الشباب والرياضة.

الإصدارات اللافتة

واصلت دور النشر العراقية نشاطها اللافت ومشاركاتها في معارض الكتاب العربية. ورغم ارتفاع أسعار الورق الذي أسهم في انكماش السوق لمدة، واصلت الدور الأهلية منها تقديم أعمال عراقية وترجمات جديدة. من أبرز ما صدر العام الفائت كانت الأعمال الشعرية للراحل أحمد الصافي النجفي، وطبعة جديدة من أعمال نازك الملائكة عن «دار الشؤون الثقافية»، ويوميات يوسف الصائغ ديوانه الأخير «استيقظ يا يوسف». في جانب الرواية، أصدر مرتضى كزار عن «دار الساقي» رواية «هذا النهر يعرف اسمي». وأصدرت «دار الرافدين» رواية «غريزة الطير» لعبد الزهرة زكي، و«دار سطور» رواية «آخر المدن» لزهير الجزائري.

التشكيل... علامات عافية

وبدا مشهد التشكيل العراقي أكثر عافية وحيوية، فقد واصل حضوره المميز في معارض فردية وجماعية داخل العراق وخارجه، مؤكّداً على المكانة الخاصة للتشكيل العراقي بمختلف مراحله. وقد كان افتتاح «قاعة إيوان -مجموعة الإبراهيمي» من الأحداث الهامة ثقافياً لما تضمّنته من مقتنيات فريدة ومتنوعة شكّلت متحفاً مصغراً ضم أجيالاً عدة.

ومن المعارض المهمة التي شهدها 2023 معرض «عرقنة وأمركة» لهاشم تايه وياسين وامي، ومعرض النحت العراقي في بغداد، ومعرض «ثمانيون... جيل وذاكرة»، ومعرض «جذة عدن» لجملة من الفنانين، ومعرض «طبيعة عراقية» الذي أقامته «جمعية الفنانين التشكيليين» في بغداد، فضلاً عن مشاركات الفنانين العراقيين في عدد من بينالية عالمية أقيمت في عواصم عدة، فيما فاز التشكيلي الرائد ضياء العزاوي بـ «جائزة النيل للمبدعين العرب».

فاز التشكيلي الرائد ضياء العزاوي بـ «جائزة النيل للمبدعين العرب»

حصاد الثقافة 2023

ما قبل «الطوفان» ليس كما بعده

عبر تاريخ يمتدّ على قرون طويلة أسهمت أرض فلسطين في إنارة العالم بشتّى أشكال الإبداع الثقافي والفكري والفني. هي أرض الرسالات ومهد الحضارات. ومع نكبة فلسطين وقبلها، نشطت الثقافة بشكل كثيف ومشتبك مع المسيرة الفلسطينية نحو العودة والحرية وتقرير المصير. فأسهم الإبداع الثقافي في توكيد السردية الفلسطينية وإبراز الاعتداءات والانتهاكات الصهيونية وترسيخ هوية وطنية جامعة متصلة بمحيطها الحضاري لشعب طُرد من أرضه وهُجِّر وشُتِّت وتعرّض لممارسات مركّبة من التقسيم والإبادة ورفع همم الفلسطينيين وفضح التخاذل والانبطاح. امتاز المشهد الثقافي في 2023 بغزارة الإبداع الثقافي وتنوّعه، ووصوله إلى منصّات أممية مختلفة استجابةً للطبيعة الكونية للقضية الفلسطينية. ورغم ما تغلغل في المشهد من شطحات لا تخلو من النزعات الفردية أو الغربية الحداثية المنفكة عن الهمّ السياسي والوطني العام، إلّا أنّ اندلاع «طوفان الأقصى» أعاد تصحيح البوصلة لتكون الثقافة أكثر ارتباطاً بعمق الشعب وأصالته وتطلّعاته.

علي حمدالله

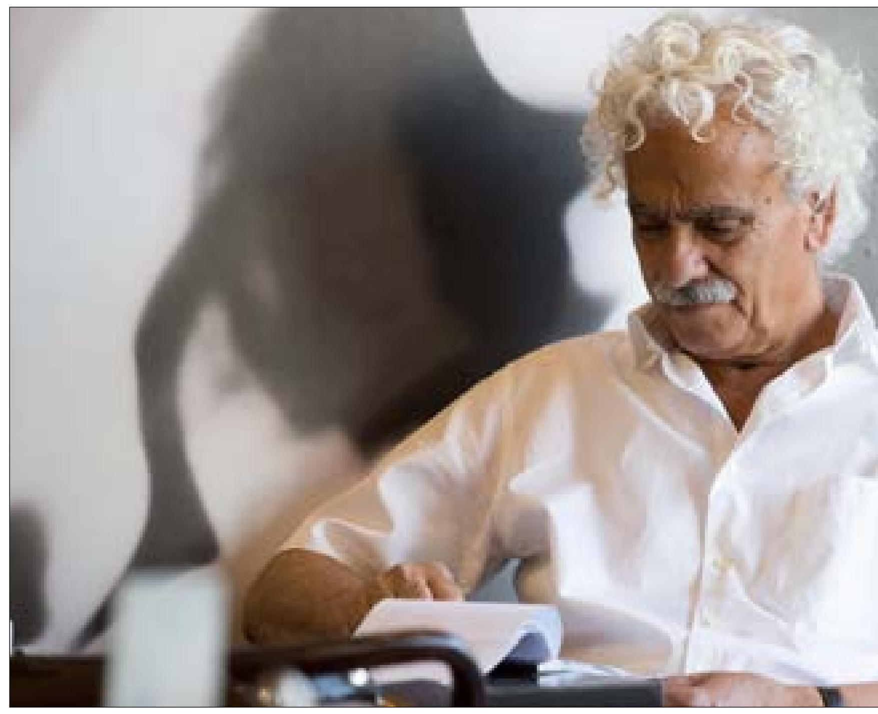
خسرت فلسطين شاعرها ومناضلها زكريا محمد الذي لم يمنحه الوقت لرؤية الطوفان العظيم (أحمد عودة)

في عام 2023 ما قبل «الطوفان»، أسهمت الثقافة الفلسطينية في ترسيخ السردية والحق الفلسطينيّين. في ذكرى مرور 75 عاماً على النكبة، عقدت منظمة الأمم المتحدة، للمرة الأولى في تاريخ القضية، مهرجاناً ثقافياً في مقر هيئتها الدولية في نيويورك. شهد المهرجان إحياء الفنانة الفلسطينية سناء موسى أمسية بأغنيات وطنية وتراثية فلسطينية. وأدرجت الدبكة الشعبية الفلسطينية على لائحة التراث الثقافي غير المادي التابعة لمنظمة اليونيسكو في كانون الأول (ديسمبر) الماضي خلال الدورة 18 للجنة الدولية الحكومية لصون التراث الثقافي غير المادي. وبهذا يصبح لدولة فلسطين ثلاثة عناصر مدرجة على لائحة التراث الثقافي الحي غير المادي: الحكاية والتطريز والدبكة. في الشهر نفسه، منحت اليونيسكو حمايةً معززةً موقتة لـ «دير القديس هيلاريون» في قطاع غزة، وهو أعلى مستوى من الحصانة ضد الهجمات التي حددتها اتفاقية لاهاي عام 1954. وفي العام نفسه، أدرجت أريحا القديمة/ تل السلطان على قائمة التراث العالمي بقرار من لجنة التراث العالمي التابعة لليونيسكو.

شهد 2023 أيضاً إنتاجاً معرفياً غزيراً ونوعياً. ضمن سلسلة «ذاكرة فلسطين» (عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات) صدرت «حيفا في الذاكرة الشفوية: أحياء وبيوت» لروضة غنايم التي تتبعت ذاكرة خمسة أحياء في حيفا عبر روايات ذاتية لأفراد، و«مخيم تل الزعتر: وقائع المجرزة المنسية» لأستاذ فقه اللغة والباحث الفلسطيني محمد داود العلي، و«أوراق السجن: من أورقة الكنيست إلى سجون الاحتلال» لباسل غطاس، الذي وثق يوميّاته في سجون الاحتلال على إثر اعتقاله بتهمة تهريب هواتف للأسرى الفلسطينيين، و«طبريا العربية تحت الحكم البريطاني 1918-1948ـ دراسة اجتماعية سياسية» لمصطفى العباسي، و«القدس: التطهير العرقي وأساليب المقاومة» لأحمد جميل عزم وآخرين. وعن «المؤسسة العربية للدراسات والنشر» في بيروت، صدر «تأملات في الفيلم الفلسطيني» لسليم البيك، و«الصهيونية: إسرائيل ومناهضة السامية» (مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية) لخلدون البرغوثي. أمّا «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» التي أطلقت خلال العام موقعها باللغة الفرنسية، فقد أصدرت كتاب «كاميرا فلسطين: التصوير الفوتوغرافي وتاريخ فلسطين المهمش» لعصام نصار واسطفان شيحا وسليم تماري، و«المغيّبات: النساء والمدن الفلسطينية حتى سنة 1948» لمنار حسن (ترجمة علاء حليحل)، و«كنيسة المهد في بيت لحم أقدم كنائس فلسطين: دراسة في العمارة والفنون والتاريخ والتراث» لأستاذ التاريخ والآثار في «جامعة بيرزيت» نظمي الجعبة... وعن «مركز دراسات الوحدة العربية»، صدر «الاقتصاد الصهيوني الغاصب والاقتصاد الفلسطيني الأسير» لأحمد السيد النجار، إلى جانب إصدارات بارزة أخرى عن دور نشر مختلفة أهمها «العقلية الصهيونية ولاهوت الإبادة» للأسير الفلسطيني قتيبة بن مسلم، و«رجل يشبهني» لالياس خوري، و«قناع بلون السماء» للأسير الفلسطيني باسم الخندقجي، و«العمارة الجبلية في فلسطين بين واقع الصيانة وآفاق الترميم، بلدة السموع أنموذجاً» لثورة حوامدة.

ألغي تكريم الروائية عدنية شبلي في «فرانكفورت» الصهيوني الهوى

وفي ذكرى مرور 75 عاماً على النكبة، أقيمت الدورة الأضخم من «معرض فلسطين الدولي للكتاب» في دورته الثالثة عشرة، تحت عنوان «75 عاماً من النكبة إلى الدولة باقون»، بمشاركة أكثر من 390 دار نشر وتوكيل، وكوكبة من الكتاب والشعراء العرب، وأكثر من 61 ألف عنوان، على مساحة أكثر من 6500 متر مربع في أرض المكتبة الوطنية في بلدة سردا قرب مدينة رام الله. كما عقد مركز الأبحاث التابع لـ «منظمة التحرير الفلسطينية» مؤتمره السنوي بعنوان «تاريخ وآثار فلسطين – مراجعة نقدية» على مدار يومين في رام الله، بمشاركة خمسة وثلاثين باحثاً. وفي الثالث عشر من آذار (مارس) المتزامن مع يوم الثقافة الوطنية، أقيمت عشرون فعالية في الضفة وغزّة وعكّا ومخيم نهر البارد، واختير الموسيقار المقدسي حسين نازك (1942 ـ 2023)، شخصية العام الثقافية لدوره في تكريس الأغنية الثورية الفلسطينية. وانطلق «مهرجان فلسطين الدولي» بنسخته الـ 22، متخذاً من المفتاح شعاره، إيماناً منه برمزية التمسك بحق العودة وحلمها. نظم المهرجان بالشراكة مع بلدية رام الله التي أقامت أيضاً مهرجان «وين ع رام الله» السنوي بدورته الـ 14، تحت شعار «75 عاماً على مسار العودة». ونظم مهرجان «صيف القدس» في الأردن تحت شعار «نأتيك حباً وشوقاً... عزّاً ونصراً» بهدف تسليط الضوء على الواقع الفلسطيني والمقدسي ومواجهة التهويد وحشد طاقات المؤسسات والجهات العاملة في القدس وفلسطين. ونظمت سرية رام الله الدورة السابعة عشرة من «مهرجان رام الله للرقص المعاصر» تحت شعار «للجسد ألف قصة وقصة»، ونجحت «جامعة دار الكلمة» في بيت لحم في تنظيم مهرجان «حكايا من فلسطين» في مدن عدة في ألمانيا والنمسا. وتحت شعار «انهضي يا قدس»، نظم «مركز يبوس» الثقافي «مهرجان القدس»، لتسليط الضوء على الفنانين المحليين والعالميين في مجالات الفنون الأدائية والبصرية. وبمشاركات نوعية على مستوى المحتوى والتقنية، اختتم مهرجان «أيام فلسطين السينمائية» بتنظيم من مؤسسة «فيلم لاب – فلسطين». وتحت شعار «للسينما العربية، هنا القدس»، عقد «مهرجان القدس للسينما العربية»، بتنظيم من «المسرح الوطني الفلسطيني - الحكواتي»، بهدف تعزيز المشهد الثقافي والفني في القدس وخلق المساحات الثقافية للمقدسيين. وعقد «مؤتمر غسان كنفاني للرواية العربية» برعاية وزارة الثقافة الفلسطينية ونظيرتها الأردنية لهذا العام تحت عنوان «فلسطين في الرواية العربية». وللمرة الأولى، عقد في إسطنبول مهرجان «فلسطين في كتاب -كتب عن فلسطين وكتّاب فلسطينيون». وشهدت فلسطين أيضاً انطلاق المؤتمر الموسيقي الأوّل، الذي يهدف إلى خلق مساحة مشتركة وآمنة للموسيقيين وتوحيد جهودهم وإثراء الحوار بينهم وتلبية احتياجاتهم. وكردّ مقاوم على استثمار الحركة الصهيونية فن الكوميكس لتعزيز سرديّتها الزائفة، أقيم في فلسطين معرض للكوميكس للمرة الأولى، بمشاركة 17 فناناً فلسطينياً ومشاركات أخرى من خارج فلسطين، بتنظيم رسام الكاريكاتور الفلسطيني محمد سباعنة. ونجحت «الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية لـ«إسرائيل»» في إفشال مهرجان «3 دقات» التطبيعي، الذي ينظمه ما يسمّى «البيت الإسرائيلي – الفلسطيني» بتمويل من بلدية الاحتلال في القدس.

رغم الإنجازات والولادات الجديدة، ودّع المشهد الثقافي في عام 2023 كوكبة من أعلامه، منهم المؤرخ جهاد صالح، الذي ترأس تحرير مجلة «الثورة» وجريدة «التعميم» وشغل موقع مدير عام الشؤون الثقافية في وزارة الإعلام الفلسطينية وهيئة التوجيه السياسي والوطني، ورئيس تحرير «الزاوية الثقافية» التي صدرت في رام الله، إلى جانب إيليا زريق أحد أبرز المفكرين والأكاديميين في العالم العربي وأهم رواد علم الاجتماع، وموسى أبو كرش مدير تحرير جريدة «الحياة الجديدة» وصاحب الإسهامات الأدبية والقصصية، وأحمد أبو الكاس التشكيلي وأحد مؤسسي جامعة الأقصى الفلسطينية في غزّة، وعماد سمارة أحد مؤسسي «المسرح الوطني الفلسطيني . الحكواتي»، والشاعرة والمناضلة مي الصايغ التي شاركت في تأسيس «الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية» وترأست أمانته العامة. وخطف العام أيضاً زكريا محمد (داود محمود عيد شقير) الشاعر والكاتب والباحث الفلسطيني الكبير، الذي رحل تاركاً إصدارات نوعية غزيرة في الشعر والرواية والميثولوجيا والأديان القديمة وأدب الأطفال، وكان عضواً مؤسساً وعضو مجلس أمناء «المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات»، والتشكيلي إبراهيم مؤمنة، والملحن حسين نازك، والتشكيلية ضياء البطل.

وكان عام 2023 مميزاً على مستوى الجوائز والتكريمات التي حازها فلسطينيون على المستويات المحلّية والعربية والعالمية. في أيلول (سبتمبر) وصلت رواية «دومينو» للكاتب خليل ناصيف، إلى القائمة القصيرة لجائزة «كتارا»، ورواية «فتى الغور» لكامل أبو صقر إلى قائمتها الطويلة. وفي تشرين الثاني (نوفمبر)، أعلن عن القائمة الطويلة لـ «جائزة الشيخ زايد للكتاب» التي شملت للمرة الأولى عملاً فلسطينياً، تحديداً في فرع أدب الطفل والناشئة، عبر قصة «الضوء» لإسراء كلش. وبالشراكة مع «مركز خليل السكاكيني»، أُطلقت «جائزة الربيع للفنون البصرية» برعاية سليمان منصور ونبيل عناني اللذين يمثلان أعمدة الفن التشكيلي السياسي والنضالي في فلسطين. وحصلت على «جائزة مؤسسة محمود درويش للإبداع» عن عام 2023، الشاعرة والمترجمة الفلسطينية الراحلة سلمى الخضراء الجيوسي (1936 ـ 2023) عن فئة المبدع الفلسطيني. وحصد الروائي حسن حميد، «جائزة نجيب محفوظ» عن روايته «ناغوغي الصغير». وفاز وثائقي «اليد الخضراء» للمخرجة جمانة منّاع بـ «جائزة النقاد للأفلام العربية» في «مهرجان كان السينمائي». صوّر الشريط الصراعات بين ما يسمّى «سلطة حماية الطبيعة الإسرائيلية» وقاطفي النباتات الفلسطينيين. وحصل الفيلم الروائي الطويل «الأستاذ» للمخرجة فرح النابلسي على جائزتي «مهرجان البحر الأحمر السينمائي» في دورته الثالثة، وهما جائزة أفضل ممثل للفلسطيني صالح بكري، وجائزة لجنة التحكيم الخاصة عن الفيلم نفسه. أمّا جائزة لجنة التحكيم في الدورة العشرين من «المهرجان الدولي للفيلم» في مراكش، فقد ذهبت إلى وثائقي «باي باي طبريا» للفلسطينية لينا سويلم. وفي الدورة الرابعة من «مهرجان عمّان السينمائي الدولي»، فاز «اللد» بجائزة أفضل وثائقي عربي طويل وجائزة اتحاد النقاد السينمائيين الدولي لأفضل فيلم. وفي شباط (فبراير) الماضي، ترشح الموسيقار نسيم الأطرش ابن بلدة بيت ساحور قضاء بيت لحم لنيل جائزة «غرامي» عن ألبومه الموسيقي Crisalida.

بدورها، حصلت الكاتبة الفلسطينية عدنية شبلي على جائزة LiBeraturpreis الألمانية عن روايتها «تفصيل ثانوي» (دخلت بنسختها الإنكليزية قائمة «بوكر» الطويلة لعام 2021) وهي جائزة سنوية تمنح لأفضل المؤلفات الأدبية في جميع أنحاء آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية. الرواية التي تطلبت عشر سنوات من البحث والكتابة والشطب لتروي لنا قصة فتاة من النقب، اغتصبها جيش الاحتلال الإسرائيلي وقتلها عام 1949، وقصة فتاة أخرى في وقتنا الراهن تحاول البحث عن تفاصيل الجريمة التي ستصادف بعد 25 عاماً على وقوعها في يوم مولدها، أثارت جدلاً بعد عملية «طوفان الأقصى». إذ ألغت المنظمة الأدبية الألمانية «ليتبروم» تكريم شبلي ضمن «معرض فرانكفورت للكتاب» الذي انحاز للسردية الصهيونية وكتم الصوت الفلسطيني. أمر شجبته رسالة احتجاجية مفتوحة صدرت عن 600 كاتب ومثقف وأكاديمي وناشر حول العالم.

اندلع «طوفان الأقصى» في السابع من تشرين الأول (أكتوبر) الماضي، فكان كفيلاً بتغيير واقع القضية الفلسطينية والمحيط الإقليمي والعالمي وبطبيعة الحال المشهد الثقافي. أمر استدعى تكثيفاً غير مسبوق للممارسات الصهيونية بحق الفلسطينيين في جميع أماكن تواجدهم. وفقاً لتقرير صدر عن وزارة الثقافة الفلسطينية موجزاً مجمل الانتهاكات الإسرائيلية بحق قطاع الثقافة في فلسطين في عام 2023، فقد استشهد 44 من العاملين في قطاع الثقافة، واعتقل ما يزيد عن تسعة من المبدعين بسبب إنتاجاتهم الفنية من غناء وموسيقى وصناعة محتوى. كما توسعت ممارسات الأسرلة والتهويد في المناطق الأثرية والبلدات القديمة في القدس ونابلس والخليل وسبسطية، ودُمّرت ميادين عامة ونصبٌ تذكارية وأعمالٌ فنية وجداريات خاصة في قطاع غزّة وجنين. وبلغ مجموع ما رُصد من مبانٍ تراثية وثقافية وتاريخية مدمرةٍ في قطاع غزة حوالى 207. وسرقت الآثار وهدمت مؤسسات ثقافية ومسارح ومطابع ومعارض ومكتبات ودور نشر ومراكز للأرشيف. وأغلقت مؤسسات ثقافية في القدس، ومُنعت بعض الأنشطة والفعاليات فيها، وتم الاعتداء على 5 مؤسسات مقدسية، واقتحام 14 مركزاً ثقافياً في الضفة الغربية، منها مكتبتان تم الاستيلاء على محتوياتهما. وحُرم عدد من الفنانين والكتاب السفر للمشاركة في فعاليات خارجية. فالمشروع الصهيوني الذي يهدف إلى استعمار الأرض وإبادة أهلها وطردهم، لا يكتمل من دون الإبادة والتطهير العرقي للثقافة الفلسطينية، أحد أعمدة الصمود والنضال التاريخي الفلسطيني. كما شهد المحتوى الفلسطيني تكثيفاً لممارسات التطهير العرقي الافتراضي والإبادة الافتراضية نتيجة سياسات التضييق والمحو التي اتبعتها أبرز منصات التواصل الاجتماعي وعلى رأسها فايسبوك.

> نجحت حملة المقاطعة في إفشال مهرجان «3 دقات» التطبيعي

> لم يكتفِ الشعب اليمني بالتضامن العسكري، بل أنتج فنّانوه مجموعة من الأناشيد الحماسية والأغنيات الداعمة لفلسطين

> أقيم معرض للكوميكس للمرة الأولى بتنظيم رسام الكاريكاتور محمد سباعنة

أمام «كنيسة المهد» في بيت لحم، جسدت رنا بشارة الطفل يسوع في حاضنة أطفال

لم تكتفِ الثقافة الفلسطينية بالصمود فقط. رغم خطر الاغتيال والمحو والتدمير الثقافي، تفاعلت الإبداعات الفلسطينية بمختلف أشكالها بجرأة ومسؤولية مع «طوفان الأقصى» وتبعاته، فقد انطلقت مبادرة «مشاع فني» من مجموعة من الفنانين الفلسطينيين ممن قرروا مواجهة التعتيم والتكتيم الإعلاميّين والقمع الممارس من قبل منصات التواصل، عبر إتاحة أعمالهم للعموم بشكل مجاني للنشر والطباعة. وتضامناً مع أطفال غزّة الذين يُقتلون في الحاضنات ومن أمام «كنيسة المهد» في بيت لحم، جسدت الفنانة الفلسطينية رنا بشارة الطفل يسوع على كوفية فلسطينية في حاضنة أطفال. وأطلق طلبة «مدرسة الفرندس» في رام الله أغنية موجهة إلى العالم، لتجتمع قلوبهم الصغيرة للصلاة لأطفال غزة راجين لهم السلام والأمان والعدالة. وفي استجابة مباشرة للعدوان على غزة ونضال الشعب الفلسطيني المستمر، اجتمع 25 فناناً عربياً ليقدموا أغنية «راجعين»، في ما اعتبروه نشيداً عابراً للحدود مجسداً الصمود والمقاومة. وذهبت عائدات الأغنية والفيديو لصندوق إغاثة أطفال فلسطين. وأصدرت فرقة «مسار إجباري» أغنية «روح الروح» لتناجي الجد الفلسطيني خالد نبهان الذي فقد حفيدته وروح روحه أثناء إعداده لعيد ميلادها المتزامن مع عيد ميلاده. وأنتجت فرقة «شارموفرز» أغنية بعنوان «هل» مبتدئة بتهويدة فلسطينية، وهي أوّل إنتاج ذو طبيعة سياسية للفرقة، وأصدرت فرقة «كايروكي» عملها بعنوان «تلك قضية». وبعد 50 عاماً من عرضها الأول، عادت أغنية Leve Palestina السويدية التي كتب كلماتها الفلسطيني من مدينة الناصرة جورج توتاري، إلى صدارة منصات التواصل الرقمي المختلفة، وأنشدها المتضامنون مع فلسطين في مختلف ميادين العالم هاتفين بقلب واحد «تحيا فلسطين وتُسحق الصهيونية».

ولم يكتفِ الشعب اليمني الأبي بالتضامن العسكري والحصار البحري، بل امتطى فنانوه ومثقفوه أمواج الطوفان، مرسلين إنتاجاتهم مسيّرات لدعم فلسطين، ومنها مجموعة من الأناشيد الحماسية والأغنيات، ومعرض تشكيلي داعم للقضية الفلسطينية، ناهيك برقصة البرع اليمنية التراثية على ظهر السفينة المحتجزة «غالاكسي ليدر» في ما يعتبر أعلى أشكال التراث الفني المشتبك والأداء الكوميدي العسكري الساخر من العدو.

صالح بكري في فيلم «الأستاذ» للمخرجة فرح النابلسي

حصاد الثقافة 2023

غزة... القلب المفتوح *

عبد الرحيم الشيخ

بعد مرور ثمانين يوماً على بدء حرب الإبادة على غزة، لم تعد «الحقيقة أول ضحايا الحرب»، مثلما تفيد البلاغة الرديئة، وإنما الحق في الحياة والحق في المقاومة من أجلها. فالحقيقة، وإن أقرَّت بها جميع لغات الأرض، لا تتسع لهذا الفقد كله، لأنها لا تملك ما يمكِّن السرد من وصف المعاناة من دون عيشها. وأيُّ لغة يمكنها رواية قصص 21 ألف شهيد، و7 آلاف مفقود، و56 ألف جريح، و11 ألف أسير، و1،9 مليون نازح... ومئات آلاف البيوت، والمدارس، والجامعات، والمستشفيات، والمساجد، والكنائس، وسيارات الإسعاف، والمركبات، وآبار المياه، ومحطات الكهرباء، والملاجئ، والمطاحن، والمخابز، والمكتبات، والمراسم، والمحالّ، والدكاكين، والبسطات، والورش، والمقابر، والجثامين المتحلِّلة التي لن تحظى بترف الجنازة، والأشلاء المبعثرة التي لن تحظى بفرحة جمع الشمل تحت تراب واحد؟ فالعدو الذي لا يأبه بأرقام الأغيار، لا يتقن إلّا لغة واحدة، هي لغة النار.

في حضرة الإبادة والفقد، لا تملك الحقيقة لساناً لتهجئة الفرق بين الشهود والشهداء والشواهد، ولا تملك الحداثة البيضاء من علوم الهندسة وتخطيط الفراغ والاستقصاء الجنائي ما يمكِّن من التمييز بين أمكنة الحياة وأمكنة الموت، بين الملجأ والمقبرة... تحت الرماد. فالإبادة الجماعية، وهي تدفننا في الراهن، تستهدف الماضي والحاضر والمستقبل، الشيوخ والنساء والأطفال. أمّا النجاة الفردية، فلا يمكن التعبير عنها إلّا بلغة المصادفة، بعيداً من مسرح الحرب في غزة، ومن معارك الكلام الفارغ التي يخوضها مَن هم خارجها لملء الفراغ بين الطابور الأول والطابور الخامس. فالكل منهمك «في وصف حالتنا» التي يتواطأ فيها النصر والهزيمة على حكمة التناوب، وتتلاشى الحدود بين الواقع والواقعية، وتتراصف المواقف بين «الحزن القاتل والحزن المقاتل» في مواجهة مَن سيُلقون بنا في تيه سيناء بإرادة غير إلهية. لم يطلب أحد من مثقفي الوطن، الذين «طعموا خبزه في الزمان الحسن وأداروا له الظهر يوم المحن»، ولا من غيرهم، أن يثبت إنسانية الإنسان، أو أن يكون مسيحاً يبشِّر بانتظار الجلاد للقصاص والضحية للخلاص بعد أن تنتهي الحرب، وإن كان في وسع كل منهم أن يكون مؤرِّخاً في كتاب الأمل، فـ «المسيح لا يأتي فقط بصفته المخلِّص، بل بصفته هازم المسيح الدجَّال. والمؤرِّخ الذي سيملك موهبة إذكاء جذوة الأمل في الماضي هو فقط ذلك الذي يكون راسخ الاقتناع بأنه حتى الموتى لن يكونوا في مأمن من العدو إذا انتصر».

ونحن في الحرب، لا نكتب الحرب، بل تكتبنا الحرب وهي تفرض على وجودنا الجماعي أميَّة قسرية. وليس لنا إلّا التعرُّف إلى أبجديتها بتفحُّص أجسادنا ونحن نتعلّم القراءة قبل الكتابة لنتكلَّم عن هول الحرب. يحرق العدو الأرشيف والمكتبة والمبنى العتيق ضمن إبادة الماضي، ويدشِّن أرشيف الأجساد المحروقة في الأرض المحروقة لتكريس مشهدية الردع الذي يمنع حضور الحاضر، ويوقف استقبال المستقبل... بالجدار الحديدي الذي أكله الصدأ. في فلسطين، نتعلّم القراءة لنتعرّف إلى شاهديّة الجسد المكتوب بالحرب، ولنبدأ الكلام من جديد بعيداً من بُكم الحقيقة، وبلاغة الحق. نغنّي لانتصار القلم على السيف، وإن حرمت قذائف الموت القادمة من السماء رفعت العرعير من فرصة المواجهة الأخيرة، وقذف أقلامه الملونة في وجوه الجنود الشاحبة، ووجه العالم.

في غزة، يُعيد المجاز انتشاره، على مضض، احتراماً لعمر الحقيقة لا لجمالها. لكن غزة مصابة بقابلية المجاز، وهي تستدرجنا إلى التأمل في: خيانة الفرح، ورماد النظرية، ويد الله، واسم الإنسان، وقيامة شمشون، وانتحار الحقيقة، وإحراج النخبة، وتهمة النفق، والمقبرة الحية... غزة ليست جرح فلسطين، بل هي قلبها المفتوح. وقد قرّرت غزة تجاوز مخاوفها، ومخاوفنا، ومخاوف أعدائنا، بأن تُجري أكثر عملية قلب مفتوح خطورة في التاريخ بعدما أغلق العدو والمتحالفون معه والمتواطئون... منافذ الحياة على جسدها المحاصر. اختارت غزة مبضعها، ولجأت إلى خيار النار لفتح شرايين قلبها، وإن كان دون ذلك الموت. في عالم المثال، يُطلع طبيب القلب مريضه على حالته، ويخيِّره بين حياة ممكنة ستقوده إلى الموت بقلب مغلق، وموت ممكن ربما يقوده إلى الحياة بقلب مفتوح. وفي عالم الواقع، اختارت غزة أن تكون طبيبة نفسها، وأن تجري العملية لنفسها، وبنفسها، وأن تراقب فعل مبضع النار الذي في يدها، في غرفة عمليات بدائية وشاشة تخطيط مهشّمة كثيراً ما خذلتها الكهرباء. وفي كل لحظة، منذ بدء العملية، ينفجر شريان جماعي جديد، وتغطي الدماء زجاج الكاميرا، وزجاج الشاشة، وزجاج أعيننا التي أُلِفت الموت.

وغزة «مدينة طيبة بين الشام ورمال مصر»، مثلما قال المؤرّخ. لكن مقاومتها، بعد خمسين عاماً ويوم واحد من «معركة العبور» العربية التي اجترحتها مصر والشام، أعلنت عبوراً فلسطيني الملامح إلى الحياة وفلسطين، وسمَّته «طوفان الأقصى». فمن القدس تندلع الحرب، وفي أكنافها تنتشر: في غزة وجنين وطولكرم ونابلس وأريحا وبيت لحم والخليل... وعموم فلسطين. وعلى حدودها، في لبنان، واليمن، وسوريا، والعراق، ينفِّذ المقاومون نارهم، ويُعين أحرار العالم غزة على الإمساك بمبضعها لتُتِمّ عملية العبور إلى الحياة. اندلعت النار، واشتد الحصار، وشربت غزة ملح البحر الذي لم يبتلعها كما أراد أعداؤها. وقبضت مقاومة غزة على قلب العَلَم، علم فلسطين، واقتبست مثلثاً أحمر يشير إلى انتصار دماء غزة على سيوف إسبارطة الجديدة ونيران الأساطيل القادمة من أعالي البحار لمحو غزة والتعجيل في قيامتها وقيامة العالم.

وقد كرّسنا صفحات هذا العدد كاملة لتكون فصلاً في «كتاب الطوفان». ففي هذا العدد، نقرأ أسماء كثيرة في قلب غزة المفتوح، ونقرأ اسمها في قلوب كثيرين من محبّي فلسطين وغزة، والباحثين عن غزة وأهلها... بين الركام والأرقام. وعلى وفرة من التصميمات والأعمال الفنية التي تروي ملحمة «طوفان الأقصى»، آثرنا أن يحمل الغلاف اسم غزة العربي. وقد خصَّ الخطاط اليافاوي ساهر الكعبي، كاتب «مصحف المسجد الأقصى»، «مجلة الدراسات الفلسطينية» بلوحة فنية يزيّنها رسم غزة الذي تحتضنه مقاطع من قصيدة الشاعر حسين البرغوثي «سلام لغزة»، التي توَّجنا بنَصّها الكامل قسم الشعر.

شارك في العدد الذي أُنجز في زمن قياسي وباستكتاب خاص، 60 كاتباً وكاتبة من فلسطين، والعالم العربي، والعالم. وتصدّرت العدد «افتتاحية» قادمة من غزة، كتبها الأكاديمي الرؤيوي حيدر عيد، ضمن مسعى «مجلة الدراسات الفلسطينية» في العام المنصرم لأن تأتي افتتاحياتها من الميدان حيث المواجهة والمقاومة والصمود في قلب فلسطين. وهي الافتتاحية الرابعة على التوالي، بعد افتتاحيات القادة الأسرى مروان البرغوثي وأحمد سعدات وإبراهيم مرعي للأعداد الثلاثة السابقة.

يتضمن هذا العدد خمسة مداخل كتبها أكاديميون بارزون في مجالات العلاقات الدولية والقانون والسياسة والحرب والتاريخ، على المستويات العالمية، والعربية، والفلسطينية، والصهيونية، والإسلامية. تلتها حوارية «فلسطين: من القدس إلى غزة» مع المقدسي، خالد عودة الله، الذي يصنع الطريق بالخطى، وهي رحلة ذات مسارات متشابكة في التاريخ السياسي والاجتماعي والعسكري للقدس وفلسطين، وما تستدعيه هذه المسارات من الإحالات إلى القدس وفلسطين و«إسرائيل» وغزة. وفي محاولة جماعية للقول على ما حدث ويحدث وسيحدث، توزّع هذا العدد على أربعة محاور يتضمن كل منها مقالات وتقارير وشهادات ودراسات.

يغطّي «محور الأسرى والحرية» حال الأسرى الفلسطينيين، بين آلام الأسر وأحلام الحرية، في حرب الإبادة الجماعية على غزة ومختلف الجغرافيات الفلسطينية، وما يتعرّض له الأسرى من «إبادة غير مرئية» في ظل «حالة الطوارئ» الصهيونية وتواطؤ المؤسسات الدولية. وتتصدّر هذا المحور مقالة افتتاحية للقيادية الفلسطينية والأستاذة والباحثة في «جامعة بيرزيت» خالدة جرار، التي اعتُقلت في اليوم الحادي والثمانين للحرب، أثناء طباعة هذا العدد. كما يضمّ المحور مساهمات عن مرضى غزة وفلسطينيي 1948 الذين أضحوا أسرى السياسات العنصرية الصهيونية المتصاعدة ضدهم والهادفة إلى تكريس حالة من الكُمون في صفوفهم.

ويعرض «محور الإعلام والسردية» تغطية الإعلام الرسمي والعسكري والشعبي وأجنداته. وعلى الرغم من تركيز هذا المحور على «تغطية الحرب على غزة»، فإنه يقترح كذلك محدِّدات بناء سردية فلسطينية وعربية وعالمية مضادة للدعاية الصهيونية ومروِّجيها والمتساوقين معها. كما يتضمّن المحور شهادات عن حال الإعلام والثقافة في العواصم الغربية التي تتماهى حكوماتها مع مواقف الحكومة الصهيونية ودعايتها، بينما تهتف شعوبها باسم غزة وفلسطين «من البحر إلى النهر» في الشوارع والميادين. ويتناول «محور الإعمار والعمارة» تحليلات لمباني الهيمنة الحربية الصهيونية خلال الحرب، ومقترحات معمارية في توظيف أدوات الواقع الغامر في توثيق جغرافيا الحرب على طريق إدانة دولة المستوطنين التي لن تنتصر أبداً على رغبتها في النصر، بجرائم الحرب والإبادة الجماعية. كما يسلّط هذا المحور الضوء على الأمل، في ظل الدمار الشامل، عبر عمليات الترميم والتصميم والتخطيط المعماري، وخصوصاً للمباني التاريخية التي دمّرت الحرب عدداً غير مسبوق منها. ويتضافر مع ذلك نقد سياسات الدعم والتمويل لغزة، وشهادات على أمكنة غزة التي قضمتها آلة الحرب.

أمّا «محور الاجتماع والثقافة»، فيتضمّن مقاربات تاريخية واجتماعية وثقافية وفنية، سواء على مستوى الثقافة العالمية أو الثقافة الشعبية، لحدث «طوفان الأقصى» وما تلاه من حرب إبادية على غزة. فمن ناحية، يشكّل التاريخ الاجتماعي للمقاومة في غزة مقدمة لقراءة الأجواء القيامية التي خيّمت ولا تزال على غزة، وامتدت إلى عموم فلسطين والإقليم والعالم. ومن ناحية أُخرى، يشكّل فهم سياسات الصداقة والعداء في تاريخ الاستعمار الطويل لفلسطين والهيمنات المتعاقبة عليها، أداة تحليل للسياسات الثقافية والفنية، ولأنماط التضامن على امتداد العالم. ويكتمل قوس هذا المحور بدراسة تحليلية لثنائية البأس الاستعماري والأمل الفلسطيني.

ومع «أن الشعر لن ينقذ العالم، بل يحتاج إلى مَن ينقذه»، بتحريف جديد لمقولة قديمة، إلّا إننا أدرجنا في العدد باباً للشعر إصراراً على إرادة الحياة والجمال والحرية في وجه إرادة الموت والتوحّش والهيمنة، تضمَّن قصائد لعشرين شاعراً وشاعرة من غزة، حلّ عليهم ضيفاً كلٌ من معين بسيسو بمقطع من مطوّلته «أبدأتَ تُحصي أضلعك؟»، وحسين البرغوثي بقصيدته «سلام لغزة» التي جعلناها عنواناً للعدد. وبين الشعراء ثمة أربعة شهداء أودعت الحرب أجسادهم في تراب غزة، بينما زاحمت أرواحهم في سمائها طائرات الموت، وهم: هبة أبو ندى ورفعت العرعير ومريم حجازي وسليم النفَّار.

يشتمل العدد كذلك على ثلاثة أبواب ثابتة، تضم: تقرير فلسطين الحدثي، وقراءات عميقة في أربعة كتب عن غزة، ووثيقة خاصة هي «خطاب طوفان الأقصى» في يومه الأول.

لم يكن لهذا العدد أن يصدر بصورته الحالية، كوثيقة تاريخية وشهادة جماعية على حدث فلسطين الكبير، لولا إشراف رئيس التحرير الأستاذ إلياس خوري بقلبه المفتوح على غزة وفلسطين، والجهود الاستثنائية لسكرتيرَي التحرير: الأستاذة ناهد جعفر التي وصلت الليل بالنهار، حرفياً، في اشتغالها النبيل على كل حرف ضمّته دفّتا العدد، والأستاذ أنيس محسن في ضبط النصوص ومراجعتها. لقد أُنجز هذا العدد في ظل حرب الإبادة والتواصل شبه المستحيل مع غزة، وفي ظل «حالة الطوارئ» في سائر جغرافيات فلسطين الجريحة، وفي ظل إصرار معاند على مواصلة الطريق محمولاً على مقولة شاعر فلسطين محمود درويش: «ونحن نواصل ما يشبه الموت نحيا، وهذا الذي يشبه الموت نصر».

هذا العدد مجهود جماعي حظيتُ بفرصة العمل على إنجازه وتحريره، وقد كُتب بقلوب المؤلِّفين لا بأيديهم كرمى لعيون غزة: عيون الشهداء، والجرحى، والنازحين؛ عيون المقاومين فوق الأرض وتحتها؛ عيون الطواقم الطبية، والإسعاف، والدفاع المدني؛ عيون الطواقم الإعلامية، مَن قضى نحبه منهم ومَن ينتظر، وهم يحرسون مجاز طروادة المشرقية من الخلخلة؛ عيون محبِّي غزة، ومَن تعلّقت بها قلوبهم في الشوارع والميادين في أربعة رياح الأرض... لقد أُنجز هذا العدد انحيازاً إلى أنفاس الغزّيين الصامدين، برسم الحياة، في وجه الإبادة، وأنفاس الفلسطينيين في كل مكان. فطوبى لهم، وطوبى لتاريخ سيشهد على وجود غزة وبقاء أرضها، وبحرها، وسمائها، ونارها.

مقدمة العدد الخاص (137) من مجلة الدراسات الفلسطينية «سلام لغزة»

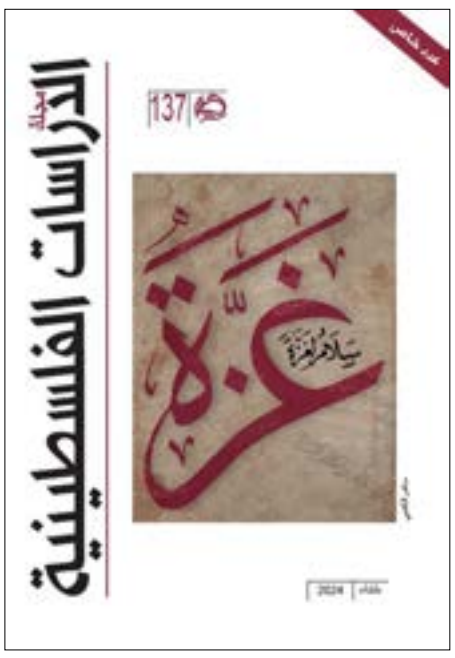

> بين الشعراء ثمة أربعة شهداء هم: هبة أبو ندى ورفعت العرعير ومريم حجازي وسليم النفَّار

Samedi 6 Janviér 2024 no95
السبت 6 كانون الثاني 2024 العدد 95

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

حرب اسرائيلية على الحوامل [6]

محكمة العدل الدولية أمام الامتحان

[5.2]

(من الويب)

جرائم الاحتلال

تتحدث وسائل اعلام العدو عن قلق المؤسسة الامنية الإسرائيلية ومكتب المدعي العام من احتمال توجيه محكمة العدل الدولية في لاهاي اتهاما الى «إسرائيل» بارتكاب جرائم إبادة جماعية في قطاع غزة، بعدما قدمت جنوب افريقيا مذكّرة قضائية ضدها في 28 كانون الاول الفائت. يُتوقع ان تنعقد المحكمة يوم الخميس 11 كانون الثاني، وقد تحتاج الى اسبوع او عشرة ايام لإصدار قرارها (استنادا الى حالات سابقة مماثلة). وكان عدد من الخبراء القانونيين الإسرائيليين قد حذّروا رئيس اركان جيش العدو هرتزل هاليفي من احتمال اصدار المحكمة امرا قضائيا يدعو «إسرائيل» إلى وقف إطلاق نار فوري في غزة. وعُقدت عدة اجتماعات طارئة في وزارة الخارجية الإسرائيلية لدرس السبل التي تحول دون إصدار المحكمة قرارا كهذا. كما لوحظ اخيرا في اوساط غربية انتشار شعار رفعه الإسرائيليون مهددين بمعاقبة كل من يؤيّد وقف اطلاق النار ومفاده «ان المطالبة بوقف اطلاق النار معاداة للسامية» Calls for ceasefire are antisemitic علما ان العدوان الإسرائيلي المستمرّ على غزة ادى، حتى اليوم، الى قتل اكثر من 22 الف من البشر الساميين! القرار المرتقب صدوره عن محكمة العدل الدولية يعزز ادانة العدو الإسرائيلي بارتكاب جريمة إبادة جماعية ضد الفلسطينيين. وقد يساهم في مساعي عزل «إسرائيل» دبلوماسيا ومقاطعتها او فرض عقوبات عليها او ضد شركات إسرائيلية. لذا تستنفر كل الطاقات السياسية والدبلوماسية والاكاديمية الإسرائيلية والاميركية لمنع محكمة العدل الدولية من وقف المجازر المتمادية في غزّة المحاصرة

هل تنجح محكمة العدل الدولية بوقف الإبادة الجماعية في غزة؟

جنوب افريقيا تواجه «إسرائيل» وحلفائها في لاهاي

عصر نشابة

جمهورية جنوب افريقيا هي الدولة الوحيدة في العالم (حتى موعد نشر هذا المقال) التي تحرّكت جديا لمنع الإبادة الجماعية بحق الشعب الفلسطيني في غزة، استجابة لالتزاماتها القانونية الدولية المنصوص عنها في المادة الأولى من الاتفاقية الدولية (9 كانون الأول 1948). فالمادة الأولى من الاتفاقية توجب على الدول الـ153 الموقعة عليها منع جريمة الإبادة الجماعية أينما حصلت والمعاقبة عليها (من بين الموقعين العديد من الدول العربية والإسلامية)، والمادة التاسعة تتيح لأي دولة موقعة على الاتفاقية إحالة تجاوزات دولة أخرى على محكمة العدل الدولية. ويذكر ان الولايات المتحدة الأميركية كانت قد تحفّظت رسمياً على المادة التاسعة يوم إقرارها للاتفاقية.

أستاذ القانون الدولي في جامعة إلينوي الأميركية فرانسيس بويل، وهو أول محام تمكن بموجب اتفاقية الإبادة الجماعية من اقناع محكمة العدل الدولية بإصدار امر ملزم قانونياً بوقف القتال (ترافع نيابة عن البوسنة في قضية بين البوسنة وصربيا عام 1993)، يقول: «بناءً على مراجعتي الدقيقة لجميع الوثائق التي قدمتها جنوب أفريقيا، أعتقد أنها ستفوز بأمر لإسرائيل بالتوقف عن ارتكاب جميع أعمال الإبادة الجماعية ضد الفلسطينيين. سيكون لدينا بعد ذلك قرار رسمي من محكمة العدل الدولية، وهي أعلى سلطة قانونية في منظومة الأمم المتحدة، بأن الإبادة الجماعية مستمرة؛ وبموجب المادة 1 من اتفاقية الإبادة الجماعية، ستكون جميع الأطراف المتعاقدة (153 دولة) ملزمة بمنع الإبادة الجماعية التي ترتكبها إسرائيل ضد الفلسطينيين».

وتابع بويل: «عندما تصدر محكمة العدل الدولية أمر الوقف والكف ضد إسرائيل، ستتم إدانة إدارة بايدن بموجب المادة 3 الفقرة "هـ" من الاتفاقية الدولية لمناهضة الإبادة الجماعية، والتي تجرم التواطؤ في الإبادة الجماعية. ونحن نعلم بوضوح أن إدارة بايدن ساعدت وحرضت على الإبادة الجماعية ضد الفلسطينيين. وقد أثار هذا الأمر أصدقائي في مركز الحقوق الدستورية في الشكوى القضائية ضد بايدن وبلينكن وأوستن» (للاطلاع على معلومات عن الشكوى يمكن مراجعة مقال «محاكمة جينوسايد جو امام المحاكم الأميركية» في عدد «القوس» الأسبوع الفائت). ونأمل بويل قائلاً: «أطلقنا حملة لدعم جنوب أفريقيا في محكمة العدل الدولية، ونطلب من الدول الموقعة على اتفاقية منع الإبادة الجماعية تقديم إعلانات التدخل في المحكمة الدولية دعما وتضامنا مع جنوب أفريقيا ضد إسرائيل ودعما للفلسطينيين».

> **بويل: نطلب من الدول الموقعة على اتفاقية منع الإبادة الجماعية تقديم إعلانات التدخل الى المحكمة دعما وتضامنا مع جنوب افريقيا ضد إسرائيل ودعماً للفلسطينيين**

جنوب افريقيا تطالب بالتحرك السريع

اتهمت جنوب أفريقيا في نص المذكرة القضائية التي قدمتها بواسطة وكيلها المحامي جون دوغارد إلى محكمة العدل الدولية، في 28 كانون الأول الفائت، «إسرائيل» بالشروع في عملية إبادة الفلسطينيين جماعياً في غزة. كما ورد في نص الشكوى ان «إسرائيل» لا تعمل على محاسبة «أولئك الذين يحرضون على الإبادة الجماعية». وذكرت جنوب افريقيا في نص الشكوى (نسخة مترجمة الى العربية في موقع «القوس») ان «إسرائيل» استخدمت «بشكل عشوائي القوة والإبعاد القسري للسكان»، واتهمتها بالضلوع في «جرائم ضد الإنسانية وجرائم حرب». وبسبب استمرار المجازر الإسرائيلية بحق الفلسطينيين بشكل يومي من دون أي توقف منذ أكثر من تسعين يوماً، الحّت جنوب أفريقيا على محكمة العدل الدولية في لاهاي (هولندا) النظر في الشكوى خلال الأيام المقبلة، وإصدار امر قضائي عاجل يدعو «إسرائيل» إلى وقف إطلاق النار في قطاع غزة فوراً لوقف الإبادة الجماعية.

وشدد نص الشكوى على ضرورة وقف اطلاق النار لحماية الفلسطينيين من «مزيد من الضرر الذي لا يمكن إصلاحه».

وطلبت جنوب أفريقيا أيضًا أن تأمر محكمة العدل الدولية «إسرائيل» بـ:

- السماح للفلسطينيين الذين أخرجوا من منازلهم في قطاع غزة بالعودة إليها؛
- التوقف عن حرمانهم من الغذاء والماء والمساعدات الإنسانية؛
- ضمان عدم قيام الإسرائيليين بالتحريض على الإبادة الجماعية ومعاقبة من يقومون بذلك؛
- السماح بإجراء تحقيق دولي مستقل في كل ما حصل منذ 7 تشرين الأول 2023

رد وزارة خارجية العدو

في ردها على الالتماس، اتهمت إسرائيل جنوب أفريقيا بارتكاب «التشهير بالدم»، وزعمت ان مذكرة جنوب أفريقيا «لا أساس لها من الناحية القانونية وتشكل استغلالا وضيعا وازدراء للمحكمة». وجاء في بيان وزارة خارجية العدو «إن جنوب أفريقيا تتعاون مع جماعة إرهابية تدعو إلى تدمير إسرائيل. وحماس هي المسؤولة عن معاناة الفلسطينيين في قطاع غزة عندما تستخدمهم كدروع بشرية وتسرق المساعدات الإنسانية منهم».

وفي ما يتعلق بالحاق الأذى بالمدنيين، كرر البيان الإسرائيلي مزاعمه الكاذبة والفارغة بأن «إسرائيل ملتزمة بالقانون الدولي وتوجه جهودها العسكرية ضد حماس والجماعات الإرهابية التي تتعاون معها فقط».

وبدأ فريق اسرائيلي مشترك من وزارتي الخارجية والعدل والمحامي العام لجيش العدو ومجلس الأمن القومي إعداد خطة الدفاع في محكمة العدل الدولية مستعينين بالمحامي البريطاني مالكوم نانّان شو، الذي يعد من أشهر الخبراء العالميين في القانون الدولي. كما ذكرت وسائل اعلام العدو احتمال تكليف المحامي الان ديركوفيتس الدفاع عن إسرائيل، علما أنه من بين المشتبه بهم بالتحرش بالأطفال في قضية جيفري ابستاين.

الإجراءات القضائية في لاهاي قد تستغرق سنوات، لكن الخطوة الأولية والفورية التي تسعى جنوب أفريقيا إلى تحقيقها هي أن تصدر المحكمة أمرا قضائياً لإسرائيل بوقف القتال والأعمال التي تشكل إبادة جماعية للفلسطينيين.

ومن الخطوات التي يدرسها العدو تعيين قاض نيابةً عنه للمشاركة في جلسات الاستماع في المحكمة. وبموجب هذا الإجراء، يجوز للدولة المدعى عليها التي تمثل أمام محكمة العدل الدولية أن تضم قاضيًا إلى اللجنة المكونة من 15 قاضيًا. ويجوز لجنوب أفريقيا ايضا ان تطلب تعيين قاض نيابة عنها.

الحذر من دوناهيو

حذّر بويل من الدور السلبي الذي يمكن ان تلعبه المسؤولة السابقة في وزارة الخارجية الأميركية جوان دوناهيو التي تشغل حاليا منصب رئيسة محكمة العدل الدولية، في عرقلة الإجراءات لمنع صدور امر بوقف اطلاق النار.

يذكر ان بويل كان قد عرض قضية البوسنة ضد يوغوسلافيا السابقة (صربيا) أمام محكمة العدل الدولية وتمكن من إقناع المحكمة بإصدار أمر دولي بلزم صربيا بوقف الإبادة الجماعية ووقف إطلاق النار فورًا عام 1993.

وقال بويل لموقع «ديموكراسي ناو» الأميركي: « جوان دوناهيو موظفة في وزارة الخارجية لمدى الحياة. أنا متأكد من أنها على اتصال الآن بوزارة الخارجية لإطلاعهم على كل ما يجري في لاهاي خلف الكواليس. ويؤسفني أن أبلغكم أن لديها صلاحيات لعرقلة الإجراءات. وأظن أنها ستستخدم هذه الصلاحيات لمصلحة إسرائيل».

كيف سيدافع العدو عن نفسه في المحكمة؟

تبين لحكومة بنيامين نتنياهو، بعد مراجعة متخصصين في القانون الدولي في الجامعات الإسرائيلية، ان الخطوة التي قامت بها جنوب افريقيا جدّية، وقد تلحق اضراراً جسيمة بكيان العدو وبحلفائه الامبركيين وحتى الاوروبيين. فقد حذّر الخبير في القانون الدولي في جامعة تل ابيب إلياف ليبليتش من ان «هذه ليست لجنة تحقيق تابعة للأمم المتحدة أو المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي، التي ترفض إسرائيل سلطتها. إنها محكمة العدل الدولية التي تستمد صلاحياتها من معاهدة انضمت إليها إسرائيل، لذا لا يمكنها رفضها على أساس قانوني». وشرح ليبليتش للمسؤولين الإسرائيليين ان اتهام «إسرائيل» بارتكاب أعمال تشكل إبادة جماعية، وبعدم منع التصريحات التي تدعو إلى الإبادة الجماعية تشكّل «أموراً قاسية جداً جداً، ولكن لا يجب تجاهل تأثيرها، وبالتالي يجب الرد عليها بشكل جدي». كما حذّرت خبيرة القانون الدولي في جامعة حيفا شيلي أفيف ينّي من «الاستخفاف بشكوى جنوب أفريقيا، إذ تتمتع محكمة العدل الدولية بتأثير كبير في تشكيل القانون الدولي، وأحكامها تؤثر على تصورات المجتمع الدولي. ولذلك، فإن الاعتراف بمطالبة جنوب أفريقيا قد يعزز التصور بأن إسرائيل ترتكب إبادة جماعية في غزة».

واقترح ليبليتش بأن «الإبادة الجماعية هي انتهاك، وإثباته في المحكمة يتطلب عنصرين: أولاً، عليك إظهار نية الإبادة، وثانيا، بعض الإجراءات الميدانية التي تعزز هذه النية. ووفقا لجنوب أفريقيا، يتم إثبات النية من خلال تصريحات شخصيات إسرائيلية رفيعة المستوى والتوجه العام لمحو غزة او تسويتها بالأرض، والضرر الواسع الذي لحق بالمدنيين والجوع في غزة بظهران العنصر الحقيقي لهذا الفعل». واقترح ليبليتش ان يسعى فريق الدفاع الإسرائيلي في المحكمة الى اثبات أن تصريحات بعض المسؤولين الإسرائيليين التي تدعو الى إبادة الفلسطينيين غير رسمية ولا تعبّر عن نية «دولة إسرائيل» بارتكاب فعلي لجريمة الإبادة الجماعية، وانها مجرّد تعبير عن رأي. وأضاف انه «من الصعب إثبات نية الإبادة الجماعية لأنه لم يتم الإدلاء بتصريحات علنية رسمية بهذا المعنى أثناء القتال».

وطمأن ليبليتش حكومة نتنياهو بأن صدور حكم او امر قضائي عن محكمة العدل الدولية «لا يعني أنه سيتم تنفيذه على الفور». وأشار إلى أن المحكمة نظرت حتى الآن في عدد قليل جدًا من القضايا التي تنطوي على اتهامات بالإبادة الجماعية. وقبل حوالي 15 عاماً، رفضت شكوى بوسنية بأن صربيا ارتكبت إبادة جماعية، لكنها قضت بأن صربيا لم تمنع الإبادة الجماعية التي ارتكبتها الميليشيات الصربية في مذبحة سربرينيتشا. وهناك قضية أخرى، لا تزال في مراحلها الأولى، تتعلق بشكوى أوكرانية ضد روسيا. وتنظر المحكمة أيضًا في شكوى قدمتها غامبيا ضد ميانمار بسبب اضطهادها للروهينغا». وختم ليبليتش «إن شكوى جنوب أفريقيا تهدف إلى إضافة إسرائيل إلى هذه المجموعة السيئة السمعة، وبالتالي إحراج الولايات المتحدة كحليف لها». (ويبدو أن البروفسور الصهيوني لم يدقق جيداً في المعلومات التي تناولها، اذ ان محكمة العدل الدولية أصدرت أمراً قضائياً في 23 كانون الثاني 2020 فرضت من خلاله على ميانمار وقف الإبادة الجماعية بحق الروهينغا).

> **احتمال تكليف المحامي الان ديركوفيتس الدفاع عن «إسرائيل»، علماً انه من بين المشتبه بهم بالتحرش بالأطفال في قضية جيفري ابستاين**

مزاعم العدو المرتقبة في المحكمة

قد يُكلف أربعة ممثلين عن حكومة العدو الإسرائيلي، من بينهم المحامي البريطاني مالكوم نانّان شو. وستسعى إسرائيل إلى الحصول على بيانات دعم لموقفها من الدول الحليفة لها وفي طليعتها الولايات المتحدة والمانيا وبريطانيا وغيرها.

وبعد بحث في الأوراق البحثية وتقارير اكاديميين ومحامين في الكيان الإسرائيلي، تبين لـ«القوس» ان استراتيجية الدفاع الإسرائيلي في محكمة العدل الدولية قد تضم المزاعم الآتية:

- ان جنوب افريقيا لم تتواصل مع إسرائيل قبل رفع الشكوى وبالتالي ان استعجالها مقاضاة إسرائيل يدل الى سلوك عدائي ضد إسرائيل لا علاقة له بجريمة الإبادة الجماعية؛
- ان إسرائيل ستقوم بإجراءات قانونية لمنع اطلاق تصريحات تدعو الى الإبادة الجماعية؛
- ان الجيش الإسرائيلي قبل بالهدنة وخفض حدة القتال، وبالتالي هدفه ليس إبادة الفلسطينيين بل استهداف حماس؛
- ان عدم تقديم دولة فلسطين، المعنية بحقوق الشعب الفلسطيني قانونياً، شكوى ضد إسرائيل في محكمة العدل الدولية يكشف بأن شكوى جنوب افريقيا مشبوهة؛
- ستقدم إسرائيل شكوى ضد جنوب افريقيا لدعمها الإرهاب والابادة الجماعية من خلال دعمها لحركة حماس.

الفرق بين محكمة العدل الدولية والمحكمة الجنائية الدولية

تشكل محكمة العدل الدولية احدى مؤسسات منظمة الأمم المتحدة الأساسية منذ تأسيسها عام 1945. وهي المحكمة المختصة بالنظر في النزاعات القانونية بين الدول الأعضاء في الجمعية العمومية للأمم المتحدة. خلافاً للمحكمة الجنائية الدولية التي أسست عام 2000 للنظر في المسؤوليات الجنائية الفردية، فإن جميع أعضاء الأمم المتحدة ملزمون باحترام القرارات الصادرة عن محكمة العدل الدولية.

123 دولة وقعت اعلان روما الأساسي (1998) الذي يشكل النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، بينما امتنعت اكثر من 70 دولة عن التوقيع من بينها الولايات المتحدة و«إسرائيل» والصين وتركيا والهند واندونيسيا والمملكة العربية السعودية ولبنان. ولا تعترف «إسرائيل» باختصاص المحكمة الجنائية الدولية التي بدأت التحقيق في جرائم حرب «ارتكبها إسرائيليون وفلسطينيون». لكن «إسرائيل» كانت قد تعهدت قانونياً باحترام الاتفاقية الدولية لـ«منع الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها»، ووقعت عليها في 17 آب 1949، وصادقت عليها في 9 آذار 1950. وبالتالي، من صلاحية محكمة العدل الدولية ملاحقتها قضائياً بسبب خرقها للاتفاقية من خلال القتل المنهج والجماعي والتجويع والحصار والدمار الشامل واستهداف المستشفيات والمدارس ودور العبادة وكل مقومات الحياة في غزة.

«يدا المحكمة الجنائية الدولية ملطختان بدماء الفلسطينيين»

المدعي العام في المحكمة الجنائية الدولية كريم خان يدا منحازا لإسرائيل في إعلام العدو (راجع القوس عدد 9 كانون الأول 2023)

قال أستاذ القانون الدولي في جامعة إلينوي الأميركية فرانسيس بويل أنه بعد عملية «الرصاص المصبوب» ضد قطاع غزة عام 2009، «نصحت الفلسطينيين بقبول اختصاص المحكمة الجنائية الدولية في فلسطين. ويؤسفني أن أبلغكم بأن المحكمة لم تفعل شيئًا لمساعدة الفلسطينيين. إن يدي المحكمة الجنائية الدولية ملطختان بدماء الشعب الفلسطيني منذ عام 2009. ولهذا السبب قمنا بحملة لإيجاد دولة على استعداد لرفع دعوى قضائية في محكمة العدل الدولية». وأضاف ان «المحكمة الجنائية الدولية تعمل بشكل أساسي بناءً على طلب مواليها ومؤسسيها وأسيادها، وهم الولايات المتحدة ودول الناتو والدول الأوروبية».

20

مجزرة

في اليوم العالمي لمنع الإبادة الجماعية (السبت 9 كانون الاول الجاري)، اي في العيد الـ64 للاتفاقية الدولية لمنع الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها ارتكب جيش العدو الإسرائيلي 20 مجزرة مروعة وباد عائلات بكاملها في قطاع غزة المحاصر.

كما استهدف جيش العدو سيارة اسعاف خلال عملها في اخلاء الجرحى في منطقة مستشفى غزة الاوروبي ما ادى الى اصابة مسعفين والحاق اضرار بسيارة الاسعاف ليرتفع بذلك عدد سيارات الاسعاف المستهدفة الى 57 منذ بداية العدوان الإسرائيلي على غزة في تشرين الاول الماضي.

واعلنت منظمة «انقذوا الاطفال» ان الوفيات الناجمة عن الجوع والمرض في غزة قد تفوق الناتجة عن القنابل. واشارت الى ان استخدام التجويع سلاحا في الحرب مميت للاطفال. وانه بات محكوما على اطفال غزة بمزيد من القصف والمجاعة والمرض.

واشار المكتب الاممي للشؤون الانسانية الى زيادة كبيرة في الامراض المعدية كالاسهال والتهابات الجهاز التنفسي والجلد جراء سوء الظروف الصحية. واشار مدير مستشفى غزة الاوروبي، يوسف العقاد، الى ان نحو 900 مريض وجريح ملقون على الارض في المستشفى. وافاد نادي الاسير الفلسطيني ان حصيلة الاعتقالات بعد السابع من اكتوبر ارتفعت إلى نحو 3700. ولا يزال الاحتلال الاسرائيلي يعتقل 36 من الكوادر الصحية. على راسهم الدكتور محمد ابو سلمية مدير عام مجمع الشفاء الطبي في ظروف غير انسانية.

يمكن الاطلاع على:

ترجمة نص الكامل لمذكرة جنوب افريقيا ضد إسرائيل الى العربية على موقع «القوس»

جرائم الاحتلال

منع الابادة الجماعية: تواطؤ دولي وتقصير قانوني

لونا فرحات

عبر البث المباشر، بتابع العالم الجرائم التي يرتكبها الكيان الصهيوني في قطاع غزة، ويُحصي عدد الشهداء الذي تجاوز الـ 21 ألفاً، 75 في المئة منهم من الأطفال والنساء، فيما يزيد عدد المفقودين تحت الانقاض على 7 آلاف، وفي ظل حصار مطبق يفرضه العدو. ازاء هذه الكارثة المرعبة، ما هي التزامات الدول والمجتمع الدولي؟

تنص اتفاقية منع الابادة الجماعية والمعاقبة عليها، في مادتها الاولى، على أنه «تصادق الدول الأطراف المتعاقدة على أن الابادة الجماعية، سواء ارتكبت في أيام السلم أو أثناء الحرب، هي جريمة بمقتضى القانون الدولي، وتتعهد بمنعها والمعاقبة عليها». فكيف تتعهد الدول بمنع جريمة الابادة؟ وما هي التدابير المطلوب اتخاذها؟

علّقت محكمة العدل الدولية على نص هذه المادة، في فتوى اصدرتها في 28 أيار 1951، بأن المادة الاولى من الاتفاقية تنص على إلتزامين مستقلين، هما الالتزام بالمنع والالتزام بالمعاقبة. ورغم وجود صلة واضحة بين الالتزامين، إلا أنهما يختلفان عن بعضهما بعضاً. وفي سلسلة من الاحكام الصادرة عنها، في 13 أيلول 1993 و26 شباط 2007 في قضية البوسنة ضد صربيا، أوضحت المحكمة أن التزام الدول بمنع الجريمة يتمثل في استخدام كل الوسائل المتاحة لها بشكل معقول لمنع الابادة قدر الإمكان، ولا تتحمل الدولة المسؤولية لمجرد عدم تحقيق النتيجة المرجوة ، بينما تتحمل الدول المسؤولية إذا فشلت بشكل واضح في اتخاذ جميع التدابير لمنع الابادة التي كانت في نطاق سلطتها، والتي كان من الممكن أن تساهم في منع وقوع الجريمة.فهو التزام بواجب بذل العناية وليس بتحقيق نتيجة. وأوضحت المحكمة أن الالتزام بمنع جريمة الابادة لا يقتصر على اقليم معين، بل أن كل دولة طرف ملزمة بمنع الابادة داخل اقليمها أو خارجها. وبناء عليه، يقع على عاتق كل دولة واجب منع حدوث الابادة الجماعية على اراضيها وفي أي دولة أخرى، وهي المرة الأولى التي تؤكد فيها المحكمة على هذا الالتزام المستقل لكل دولة من الدول التي عليها اتباع السلوك الدؤوب لمنع الابادة وفقا للمادة الاولى من الاتفاقية.

كيف يمكن تحديد ما إذا كانت دولة ما قد فشلت في منع الابادة؟

وفقا لمحكمة العدل الدولية، يتم اعتماد عدد من المعايير لدى تقييم ما إذا كانت الدول قد اضطلعت بفعالية بمسؤوليتها عن منع الابادة أم لا. العامل الحاسم هو قدرة الدولة المعنية على التأثير على عمل الأشخاص المعنيين (مرتكبي الاعمال المحظورة)، ويتضمن تقييم هذه القدرة العناصر التالية: المسافة الجغرافية للدولة المعنية عن مسرح الاحداث، قوة الروابط السياسية وغيرها بين الدولة والجهات الفاعلة الرئيسة في الاحداث، الموقف القانوني للدولة المعنية ازاء الأحداث والأشخاص الذين يواجهون خطر الابادة، مستوى وعي الدولة وعلمها بقرب وقوع الجريمة.

أما عن طبيعة الإجراءات الواجب اتخاذها لمنع جريمة الإبادة، فتنص المادة الثامنة من الاتفاقية على أنه «لأي من الأطراف المتعاقدة أن يطلب إلى أجهزة الأمم المتحدة المختصة أن تتخذ طبقا لميثاق الامم المتحدة ما تراه مناسبا من التدابير لمنع وقمع أفعال الإبادة أو أي من أفعال الابادة المذكورة في المادة الثالثة». ولم تحدد الاتفاقية ماهية تلك الاجراءات تاركة للدولة / الدول حرية اتخاذ الإجراءات التي تراها مناسبة وفقا لقدرتها الذاتية. فما هو مطلوب، وفقا للاتفاقية، اتخاذ سلوك فعلي لمنع الابادة باستخدام الوسائل المعقولة المتاحة للدولة، من بينها الدعوة إلى وقف اطلاق النار الفوري وغير المشروط، اتخاذ خطوات لرفع الحصار ومنع التهجير، وقف المساعدات العسكرية بما في ذلك مبيعات الاسلحة التي من شأنها تمكين أو تسهيل الابادة، دعوة الاجهزة الدولية المختصة في الامم المتحدة إلى اتخاذ خطوات عاجلة لوقف انتهاكات

> **تقاعس الدولة قد يرقى إلى مستوى الفعل غير المشروع دولياً يستدعي المسؤولية للدولة التي قررت التزام الصمت وعدم التحرك**

حقوق الانسان، كقطع العلاقات الدبلوماسية ووقف الاستثمارات الاقتصادية والاتفاقيات التجارية مع الجانب المعتدي. من هنا تأتي أهمية معيار قدرة الدولة على التأثير على مرتكبي الإبادة، إذ أنه معيار ذاتي يختلف من دولة إلى اخرى. كما رفضت المحكمة فكرة أن الالتزام بمنع الابادة لا ينشأ إلا عندما تبدأ الابادة، لأن ذلك سيكون بلا جدوى. فالالتزام هو منع وقوع الجريمة أو منع محاولة ارتكابها. والدولة تكون قد انتهكت واجبها بمنع الابادة إذا فشلت في اتخاذ تدابير مناسبة، لذا فإن وقوع الابادة فعلياً ليس عاملا قانونيا لتفعيل واجب المنع. وتقاعس الدولة عن التصرف قد يرقى إلى مستوى الفعل غير المشروع دولياً يستدعي المسؤولية الدولية للدولة المعنية التي قررت التزام الصمت وعدم التحرك. ذلك أن واجب المنع يضع الدول تحت التزامات ايجابية، وهي بذل قصارى جهدها لضمان عدم حدوث هذه الافعال. وواجب المنع هو واجب يقع على عاتق كل دولة على حدة، وهو التزام يتجاوز الحدود الاقليمية.

وبناء عليه، فإن جميع الدول الاطراف في اتفاقية منع جريمة الابادة والمعاقبة عليها والتي لها تاثير على اسرائيل، عليها واجب راسخ لمنع ارتكاب الابادة في غزة. ووفقا لمحكمة العدل الدولية، فإن الدولة المتقاعسة ستتحمل مسؤولية دولية اذا كانت على علم أو كان ينبغي أن تكون على علم بالخطر الجسيم الذي يمكن أن ترتكبه اسرائيل، ومع ذلك لم تحرك ساكناً.

تحذيرات دولية من تعرض غزة لابادة

في 16 تشرين الثاني 2023، أكد الخبراء القانونيون في الأمم المتحدة أن الانتهاكات الجسيمة التي ترتكبها اسرائيل ضد الفلسطينيين في غزة تشير إلى حدوث ابادة جماعية. وأوضحوا أن الأدلة على ذلك متوافرة من خلال تزايد التحريض على الابادة والنية العلنية لتدمير الشعب الفلسطيني والدعوات الصاخبة لإنزال نكبة ثانية بالفلسطينيين واستخدام اسلحة قوية ذات آثار عشوائية والعدد الهائل من القتلى وتدمير البنى التحتية على نحو يجعل الحياة صعبة ومستحيلة. كل ذلك جعل الخبراء الاممين يدقون ناقوس الخطر بأن ما يحدث هو ابادة جماعية. واتهم كريغ مخيبر، المدير السابق لمكتب نيويورك للمفوضية السامية لحقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة (استقال من منصبه احتجاجا على صمت المجتمع الدولي)، الولايات المتحدة والدول الغربية بأنها منخرطة في الجرائم الإسرائيلية في قطاع غزة، عبر توفير كل الدعم اللازم لها في حربها، واصفاً ما يحصل ضد الفلسطينيين بأنه يرقى «للإبادة الجماعية»، وأن ما يحدث في غزة هو أكثر حالة إبادة جماعية واضحة، تنطبق عليها ما حددته اتفاقية الأمم المتحدة بشأن ماهية الإبادة الجماعية.

تحذير آخر صدر عن المقررة الدولية الخاصة لحقوق الانسان في الاراضي الفلسطينية فرانشيسكا ألبانيز التي قالت إن «ما تفعله اسرائيل بالفلسطينيين في غزة هو وحشية القرن، والصمت الغربي يتحول إلى تواطؤ». كذلك صدرت تحذيرات من منظمات غير حكومية كمنظمة القانون من أجل فلسطين (مسجلة في المملكة المتحدة والسويد) التي أرسلت رسائل عاجلة إلى وزراء خارجية الدنمارك وفرنسا والمملكة المتحدة واستراليا وكندا والمانيا وايطاليا وهولندا والسويد تحذر كلاً من هذه الدول على حدة من التواطؤ في الابادة الجماعية في غزة، والمسؤولية الفردية الجنائية، وتنبههم إلى العواقب القانونية المحتملة للتواطؤ في جريمة الابادة التي ترتكبها اسرائيل ضد الشعب الفلسطيني، وتدعو هذه الدول إلى الوفاء بالتزاماتها بموجب اتفاقية منع جريمة الابادة والمعاقبة عليها، ووقف كل دعم لاسرائيل قد يساهم بشكل مباشر أو غير مباشر في استمرار الابادة الجارية وضرورة ادانتها بما يتوافق مع التزاماتها الدولية.

كذلك حذّر محامون اميركيون بأن الولايات المتحدة، بمساعدتها العسكرية المستمرة لاسرائيل، تعمل على تمكين ودعم أخطر جريمة في القانون الدولي مما يجعلها متواطئة. منظمة «هيومن رايتس واتش» أصدرت رسالة إلى الاتحاد الاوروبي تستوضح فيها موقفه مما يجري في غزة، وجاء في مضمونها أن الاتحاد التزم الصمت حول ما يحدث في غزة ولم يتخذ اي اجراء حيال الاعمال العدائية ضد الفلسطينيين، وأن الانقسامات داخل الاتحاد حيال ما يجري في غزة كُشف عنها أثناء التصويت على قرار الجمعية العامة المتعلق بوقف الاعمال العدائية في غزة وهو ما جعل من المستحيل على الاتحاد تأمين الاجماع اللازم لتبني أي تدبير ملموس للتصدي لانتهاكات المنهجية الاسرائيلية. وانتقدت المنظمة موقف الاتحاد الاوروبي بعد هجمات 7 اكتوبر، إذ جاءت البيانات الاولية الصادرة عن ممثلية الرسميين مثل رئيسة المفوضية الاوروبية اورسولا فون دير لاين ورئيسة البرلمان الاوروبي روبرتا ميتسولا لتعبّر عن الدعم القاطع للحكومة الاسرائيلية للتحرك عسكريا في اعقاب هجمات 7 اكتوبر، وخلت من أي طلب بضرورة الامتثال للقانون الدولي الانساني.

تراكم التحذيرات الصادرة من خبراء القانون في الامم المتحدة والمنظمات الحقوقية غير الحكومية حقق بلا شك عتبة المعيار القائم على معرفة ما يجري في غزة. فاصبح لدى كل دولة علم بما يجري في غزة ويستوجب منها التحرك . وعدم اتخاذ أي تدابير، يفسح المجال لتقديم دعوى ضد الدول المتقاعسة بسبب فشلها في منع الابادة الجماعية او محاولة منع الابادة رغم تحقق كل الدلائل المادية على ارتكاب الافعال المحظورة في الاتفاقية.

الالتزام بمنع الابادة ينشأ خلال استعداد مرتكبيها لتنفيذها وليس بعد الشروع بالجريمة عملياً، لأن فحوى الالتزام يتطلب التحرك للمنع خلال عملية التحضير لارتكاب الجريمة، وواجب التصرف ينشأ في اللحظة التي تعلم فيها الدولة أو كان ينبغي لها عادة أن تعلم بوجود خطر جدي بارتكاب الابادة الجماعية، ومن تلك اللحظة فصاعدا اذا توافرت للدولة وسائل رادعة ضد المشتبه به، فإن من واجبها استخدام هذه الوسائل.

التدابير التي يفترض أن يضطلع بها مجلس الأمن لم تتخذ إلى يومنا هذا، والسبب هو الفيتو الاميركي. ولكن بإمكان الجمعية العامة أن تقوم بهذا الدور كما صدر عنها قراران لوقف اطلاق النار الفوري، على المجموعة العربية والاسلامية وغيرها من الدول المؤيدة للشعب الفلسطيني أن تطلب جلسة طارئة لاصدار قرار لا يطالب فقط بوقف فوري لاطلاق النار، بل باتخاذ اجراءات ضد الكيان الصهيوني لثنيه عن الاستمرار في عملياته الاجرامية ومنع حدوث كوارث انسانية اضافية.

كذلك، للدول أيضا أن تطبق المادة التاسعة من الاتفاقية والتي تنص على اختصاص محكمة العدل الدولية للنظر في النزاعات المتعلقة بشأن تفسير أو تطبيق الاتفاقية، بما في ذلك النزاعات المتمثلة بمسؤولية دولة ما عن ابادة جماعية أو عن أي من الافعال الاخرى المذكورة فيها. وسبق للاتحاد الأوروبي ومعه المملكة المتحدة وكندا ونيوزلندا، أن طبقت هذه المادة عندما انضمت هذه الدول مجتمعة إلى الدعوى التي قدمتها اوكرانيا أمام محكمة العدل الدولية ضد روسيا في 29 شباط 2022 بتهمة انتهاك اتفاقية منع جريمة الابادة . تُرى من سينضم إلى الدعوى التي رفعتها جنوب افريقيا ضد اسرائيل بموجب المادة التاسعة ذاتها؟ فهل من مناصر؟

وثيقة

اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعـــاقبة عليها

أقرت وعرضت للتوقيع وللتصديق أو للانضمام بقرار الجمعية العامة 260 ألف (د-3) المؤرخ في 9 كانون الأول 1948

تاريخ بدء النفاذ: 12 كانون الثاني 1951، طبقاً للمادة الثالثة عشرة

إن الأطراف المتعاقدة: إذ ترى أن الجمعية العامة للأمم المتحدة، بقرارها 96 (د – 1) المؤرخ في 11 كانون الأول 1946، قد أعلنت أن الإبادة الجماعية جريمة بمقتضى القانون الدولي، تتعارض مع روح الأمم المتحدة وأهدافها ويدينها العالم المتمدن. وإذ تعترف بأن الإبادة الجماعية قد ألحقت، في جميع عصور التاريخ، خسائر جسيمة بالإنسانية، وإيماناً منها بأن تحرير البشرية من مثل هذه الآفة البغيضة يتطلب التعاون الدولي. تتفق على ما يلي:

■ المادة الأولى: تصادق الأطراف المتعاقدة على الإبادة الجماعية، سواء ارتكبت في أيام السلم أو أثناء الحرب، هي جريمة بمقتضى القانون الدولي، وتتعهد بمنعها والمعاقبة عليها.

■ المادة الثانية: في هذه الاتفاقية، تعني الإبادة الجماعية أياً من الأفعال التالية، المرتكبة على قصد التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية أو إثنية أو عنصرية أو دينية، بصفتها هذه:

أ- قتل أعضاء من الجماعة.

ب- إلحاق أذى جسدي أو روحي خطير بأعضاء من الجماعة.

ج- إخضاع الجماعة، عمداً، لظروف معيشية يراد بها تدميرها المادي كلياً أو جزئياً.

د- فرض تدابير تستهدف الحؤول دون إنجاب الأطفال داخل الجماعة.

ه- نقل أطفال من الجماعة، عنوة، إلى جماعة أخرى.

■ المادة الثالثة: يعاقب على الأفعال التالية:

أ- الإبادة الجماعية.

ب- التآمر على ارتكاب الإبادة الجماعية.

ج- التحريض المباشر والعلني على ارتكاب الإبادة الجماعية.

د- محاولة ارتكاب الإبادة الجماعية.

ه- الاشتراك في الإبادة الجماعية.

■ المادة الرابعة: يعاقب مرتكبو الإبادة الجماعية أو أي من الأفعال الأخرى المذكورة في المادة الثالثة، سواء كانوا حكاماً دستوريين أو موظفين عامين أو أفراداً.

■ المادة الخامسة: يتعهد الأطراف المتعاقدون بأن يتخذوا، كلٌ طبقاً لدستوره، التدابير التشريعية اللازمة لضمان إنفاذ أحكام هذه الاتفاقية، وعلى وجه الخصوص النص على عقوبات جنائية ناجعة تنزل بمرتكبي الإبادة الجماعية أو أي من الأفعال الأخرى المذكورة في المادة الثالثة.

■ المادة السادسة: يتحاكم الأشخاص المتهمون بارتكاب الإبادة الجماعية أو أي من الأفعال الأخرى المذكورة في المادة الثالثة أمام محكمة مختصة من محاكم الدولة التي ارتكب الفعل على أرضها، أو أمام محكمة جزائية دولية تكون ذات اختصاص إزاء من يكون من الأطراف المتعاقدة قد اعترف بولايتها.

■ المادة السابعة: لا تعتبر الإبادة الجماعية والأفعال الأخرى المذكورة في المادة الثالثة جرائم سياسية على صعيد تسليم المجرمين، وتتعهد الأطراف المتعاقدة في مثل هذه الحالات بتلبية طلب التسليم وفقاً لقوانينها ومعاهداتها النافذة المفعول.

■ المادة الثامنة: لأي من الأطراف المتعاقدة أن يطلب إلى أجهزة الأمم المتحدة المختصة أن تتخذ، طبقاً لميثاق الأمم المتحدة، ما تراه مناسباً من التدابير لمنع وقمع أفعال الإبادة الجماعية أو أي من الأفعال الأخرى المذكورة في المادة الثالثة.

■ المادة التاسعة: تعرض على محكمة العدل الدولية، بناءً على طلب أي طرف من الأطراف المتنازعة، النزاعات التي تنشأ بين الأطراف المتعاقدة بشأن تفسير أو تطبيق أو تنفيذ هذه الاتفاقية، بما في ذلك النزاعات المتصلة بمسؤولية دولة ما عن إبادة جماعية أو عن أي من الأفعال الأخرى المذكورة في المادة الثالثة.

■ المادة العاشرة: تحمل هذه الاتفاقية، التي تتساوى في الحجية نصوصها بالإسبانية والإنكليزية والروسية والصينية والفرنسية، تاريخ 9 كانون الأول 1948.

■ المادة الحادية عشرة: تكون هذه الاتفاقية حتى 31 كانون الأول 1949، متاحة للتوقيع باسم أية دولة من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة وأية دولة غير عضو تكون الجمعية العامة قد وجهت إليها دعوة للتوقيع.

وهذه الاتفاقية واجبة التصديق، وتودع صكوك التصديق لدى الأمين العام للأمم المتحدة.

وبعد اليوم الأول من شهر كانون الثاني 1950 يمكن الانضمام إلى هذه الاتفاقية باسم أية دولة عضو في الأمم المتحدة وأية دولة غير عضو تلقت الدعوة المشار إليها أعلاه. وتودع صكوك الانضمام لدى الأمين العام للأمم المتحدة.

■ المادة الثانية عشرة: لأي طرف متعاقد في أي حين، أن يجعل انطباق هذه الاتفاقية يشمل جميع الأقاليم التي يكون الطرف المتعاقد المذكور مسؤولاً عن تسيير علاقاتها الخارجية، أو يشمل أياً من هذه الأقاليم، وذلك بإشعار يوجهه إلى الأمين العام للأمم المتحدة.

■ المادة الثالثة عشرة: في اليوم الذي يكون قد تم فيه إيداع صكوك التصديق أو الانضمام العشرين الأولى، يحرر الأمين العام محضراً بذلك ويرسل نسخة منه إلى كل دولة عضو في الأمم المتحدة وإلى كل من الدول غير الأعضاء المشار إليها في المادة 11.

ويبدأ نفاذ هذه الاتفاقية في اليوم التسعين الذي يلي تاريخ إيداع الصك العشرين من صكوك التصديق والانضمام.

وأي تصديق أو انضمام يقع بعد اليوم المذكور يصبح نافذاً في اليوم التسعين الذي يلي تاريخ إيداع صك التصديق والانضمام.

■ المادة الرابعة عشرة: تكون هذه الاتفاقية نافذة المفعول لفترة عشر سنوات تبدأ من تاريخ بدء نفاذها. وتظل بعد ذلك نافذة المفعول لفترات متعاقبة تمتد كل منها خمس سنوات إزاء الأطراف المتعاقدين الذين لا يكونون قد انسحبوا منها قبل انقضاء الفترة بستة أشهر على الأقل. ويقع الانسحاب بإشعار خطي يوجه إلى الأمين العام للأمم المتحدة.

■ المادة الخامسة عشرة: إذا حدث، كنتيجة للانسحابات، أن هبط عدد

> **يُعاقب المتآمر والمحرض والمشترك في الإبادة الجماعية سواء كان حاكماً أو موظفاً**

الأطراف في هذه الاتفاقية إلى أقل من ستة عشر، ينقضي نفاذ مفعول هذه الاتفاقية ابتداءً من تاريخ بدء نفاذ آخر هذه الانسحابات.

■ المادة السادسة عشرة: لأي طرف متعاقد أن يتقدم في أي حين بطلب تنقيح هذه الاتفاقية وذلك بإشعار خطي يوجهه إلى الأمين العام.

و تتولى الجمعية العامة البت في الخطوات التي قد يلزم اتخاذها بصدد مثل هذا الطلب.

■ المادة السابعة عشرة: يقوم الأمين العام للأمم المتحدة بإبلاغ جميع الدول الأعضاء والدول غير الأعضاء المشار إليها في المادة الحادية عشرة بما يلي:

أ- التوقيعات والتصديقات والانضمامات المتلقاة طبقاً للمادة الحادية عشرة.

ب- الإشعارات المتلقاة طبقاً للمادة الثانية عشرة.

ج- تاريخ بدء نفاذ مفعول هذه الاتفاقية طبقاً للمادة الثالثة عشرة.

د- الانسحابات المتلقاة طبقاً للمادة الرابعة عشرة.

ه- فسخ الاتفاقية طبقاً للمادة الخامسة عشرة.

و- الإشعارات المتلقاة طبقاً للمادة السادسة عشرة.

■ المادة الثامنة عشرة: يودع أصل هذه الاتفاقية في محفوظات الأمم المتحدة.

وترسل نسخة مصدقة من هذه الاتفاقية إلى كل من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة وإلى كل من الدول غير الأعضاء المشار إليها في المادة الحادية عشرة.

■ المادة التاسعة عشرة: يقوم الأمين العام للأمم المتحدة بتسجيل هذه الاتفاقية في التاريخ الذي يبدأ نفاذها فيه

مقابلة

اجرتها **ملاك سلوم**

لا حدود لـ«بنك أهداف» العدو الاسرائيلي في الحرب على قطاع غزة. فهو يستهدف الرجال والاطفال والنساء الحوامل والاجنّة أيضاً. في قطاع غزة اليوم نحو 50 الف سيدة حامل، وتلد نحو 180 سيدة يومياً في ظروف غير آمنة وغير إنسانية، من دون تخدير او احتياطات صحية او تدخل جراحي إذا لزم الامر. وتشير التقديرات إلى ان ما لا يقل عن 15٪ من هذه الولادات تواجه مضاعفات تتطلب رعاية توليدية أساسية أو شاملة. استكمالاً للتقرير السابق، «تدمير النظام الصحي في غزة: الاستراتيجية العسكرية الاساسية للحرب»، اجرت «القوس» مقابلة عبر الهاتف مع الطبيبة النسائية واخصائية التوليد في قطاع غزة الدكتورة هيا حجازي

طبيبة نسائية وأخصائية توليد في غزة
حرب اسرائيلية على الحوامل

الدكتورة هيا حجازي

■ ما هو التأثير النفسي للحرب على النساء الحوامل؟

هناك تأثيرات كثيرة كالاصابة بالاكتئاب وفقدان الوزن وفقدان الشهية. هناك سيّدات رغبن في إجهاض أجنّتهم بسبب الأوضاع السيئة وقلّة الاهتمام، كما أنّ التأثيرات النفسية يمكن أن تدخل السيدات في إجهاض أو ولادات مبكرة أو أمراض سكري الحمل وضغط الحمل بسبب التوتر.

■ هل يؤثر القصف والدخان والمواد الكيميائية على الأجنة ونموها؟ وما هي العوامل الأخرى؟

نعم هناك سيدة تتواصل معي توفي جنينها بسبب الفوسفور الأبيض الذي تنشقته. القصف والدخان والخوف والشظايا التي تصيب السيدات وهدم البيوت على رؤوسهن كلها تؤثر على الأجنة. هناك سيدة استشهدت وتوفيّ الجنين داخلها.

■ كيف يتم التعامل مع الأطفال الخدّج في ظل انهيار النظام الصحي؟

كلهم دخلوا الحضانات، توفيّ جزء كبير منهم لأن الاحتلال عندما دخل مستشفى الشفاء قصف محطة الأوكسجين داخل مستشفى الشفاء التي تمدّ حضانة الأطفال كما تم اقتحام المستشفى، وليس هناك وقود أو كهرباء.

■ كم زادت نسبة الوفيات بين الأطفال الحديثي الولادة نظراً لانقطاع الكهرباء والأجهزة الطبية اللازمة؟

ارتفعت حالات الوفيات من 10 شهرياً من أصل 5000 حالة في الحالات الطبيعية، وزادت بنسبة 30%.

■ هل يتوفر حليب أطفال، ما هي الخيارات البديلة خصوصاً إن لم تكن المرأة مرضعة؟

هناك كميات شحيحة أسعارها غالية جداً، بعض السيدات اضطررن للفطام المبكر وإطعام الرضيع قبل أن يتم شهره السادس.

■ ما هي الآلية القانونية للتعامل مع الرّضع الذين استشهد ذووهم أو لم تعرف هويّتهم؟

بعضهم «مرميوّن» في المستشفيات، وبعضهم أخذهم نازحون معهم، وبعض آخر في مراكز الإيواء، هناك الكثير منهم مجهولو الهوية، حتى الآن ليست هناك جهة تنظر في أوضاعهم.

■ أخبرينا عن بعض القصص التي عايشتها خلال عملك في الحرب؟

من القصص المأساوية التي شهدتها قصة الشهيدة وفاء سويركي التي كانت تتابع حملها في مستشفى الشفاء، وكانت حاملاً بأربعة توائم بعد 15 سنة من تأخر الإنجاب، كانت ولادتهم مبكرة وقيصرية، وظلّت شهرين تتابع أوضاعهم في الحضانة. في شهر 10 قصف الاحتلال منزل وفاء واستشهدت مع توائمها. حالة أخرى هي لامرأة، استشهد زوجها وعائلتها، وولدت طفلاً مشوّهاً كان حيّاً بالبداية ثم استشهد وظروفها النفسية جداً صعبة وكانت لوحدها.

■ كيف يتم التعامل مع الحضانات أساساً مكتظة بإصابات الأطفال، وليس هناك في مجال إلا في حضانات مستشفى الشفاء المركزية وحضانة مستشفى النصر اللتين أغلقتا بسبب ضربات الاحتلال.

■ هل لجأتم إلى توليد النساء في المنازل؟ وكم نسبة من ولدن أطفالهن في المنزل؟

أغلب اللواتي ولدن في المنزل قدمن إلى المستشفى بعدها (نسبة قد تصل إلى 10% في الحرب)، ومن لم تستطع القدوم اتصلت بالإسعاف. هناك سيدات أنجبن في سيارات الإسعاف، وبعضهن في مراكز الإيواء لأن في المراكز قابلات قانونيات. لكن هذه المراكز تفتقر إلى مكمّلات التعامل مع الأطفال بعد

> **هناك سيدة توفي جنينها بسبب الفوسفور الأبيض الذي تنشقته**

الولادة كالـ«فيتامين ك» والعلاجات التي تمنع النزيف بعد الولادة. لذلك، بعض السيدات اللواتي ولدن في المراكز تعرضن للنزيف واستشهدن

بورتريه

عرّاب الكذب والتضليل الالكتروني
خبير التزوير الالكتروني... ضابط إسرائيلي

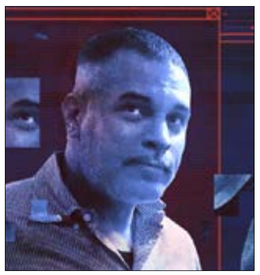

ياسر الموسوي

عام 2018، خرجت إلى العلن قضيّة / فضيحة شركة تحليل البيانات «كامبريدج انالیتیکا» Cambridge Analytica البريطانية التي حصلت على البيانات الشخصية لنحو 87 مليون مستخدم «فايسبوك»، وباعت خدماتها في حوالي 60 دولة، واتُّهمت بالتلاعب بنتائج الانتخابات والاستفتاءات في عدد من دول العالم (الانتخابات الرئاسية الأميركية عام 2016، التصويت على خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي عام 2020). ولكن، في حينها، لم يُكشف عن كلّ ما يتعلّق بهذه القضيّة، وتمكّن بعض المتورّطين الفاعلين الأكثر تأثيرًا من الاختباء، ومن بينهم خبراء قرصنة وأمن سيبراني إسرائيليون غامضون يعملون ضمن فريق يديره شخص يُعرف باسم «خورخي». (كشفت تسريبات قضيّة «كامبريدج أناليتيكا» عن وجود هؤلاء المتسللين والقراصنة وأساليب عملهم).

بعدها بخمس سنوات، تمكّن صحافيون استقصائيون من تعقّب «خورخي» ومعرفة هويّته الحقيقية بعد تحقيق سري استمرّ أكثر من ستة أشهر. كان هذا الشخص لا يزال يستخدم ذات الاسم المستعار ويبيع خدماته «لمن يدفع أعلى سعر». ومع الوقت، تكيّفت أدواته مع أحدث التطورات التكنولوجيّة، مستخدمًا سلاح الذكاء الاصطناعي الذي مكّنه من كتابة برمجيات خبيثة حسب الطلب، وتفعيل حسابات مزيّفة أو «بوتات» بالآلاف تتفاعل على مدار الساعة على منصّات التواصل الاجتماعي وإنشاء محتويات مضلّلة.

من هو «خورخي»؟

«خورخي»، أو «جاي» كما كان يوقّع بعض رسائل البريد الإلكتروني الخاصة به، هو رجل الأعمال والضابط المتقاعد في جيش الاحتلال الإسرائيلي تال حنان (ولد في الكيان الإسرائيلي عام 1973). خدم في القوات الخاصّة الإسرائيلية كخبير متفجّرات، وفقا لسيرته الذاتية. يشغل منصب الرئيس التنفيذي لشركتي Tal Sol Energy و Demoman International. الإسرائيليتين، والأخيرة شركة استخبارات مدرجة في سجلّ شركات الأمن والدفاع على الموقع الإلكتروني لوزارة الدفاع الإسرائيلية، وتعمل في خدمة مصالح الكيان.

نظّم حملات بعض مجموعات الضغط (اللوبيّات) في الولايات المتحدة بواسطة مستشارين وعبر شركة علاقات عامة أسّسها تدعى Axiomatics. وفي الأعوام التي أعقبت هجمات أيلول 2001، قدّم حنان نفسه كخبير في «مكافحة الإرهاب». ويدّعي، وفقًا لصفحة مؤرشفة من موقعه الإلكتروني، أنه قام بتدريب هيئات إنفاذ القانون بما في ذلك الوكالات الفيدرالية الأميركية.

أسّس شركة «علاقات عامّة» باسم «فريق خورخي» تضمّ ما لا يقلّ عن 100 شخص ملمّين بعمل أجهزة المخابرات، يستخدمون حملات التضليل والاستخبارات الكاذبة والاختراق والابتزاز لتعزيز مصالح عملائهم من شخصيات سياسية ورؤساء دول. وتزعم المجموعة أنّها عملت في العشرات من الانتخابات الرئاسية و«عمليّات التغيير السياسي» حول العالم وتجني أرباحًا بملايين الدولارات.

في قلب آلة التضليل

تمكّنت «الشركة» التي يديرها تال، بمساعدة أخيه زوهار حنان (يشغل منصب مدير تنفيذي لشركة أمن خاصة) وضابط الشاباك السابق ماشي ميدان وفريقهم المؤلّف من أعضاء سابقين في أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، من العمل على مدى عقدين من الزمن على تضليل الرأي العام في عشرات الدول، والتدخّل في العمليات الانتخابية ونتائجها، وإثارة النعرات والفتن التي أدّت إلى أحداث دموية في كثير من الأحيان، عبر عمليات قرصنة وتخريب وتزوير وثائق ومستندات حسّاسة ونشر معلومات مضلّلة على منصّات التواصل الاجتماعي.

عمليات هذا الفريق ليست بهدف الربح المادي أو المنفعة الخاصّة فحسب، بل تعمل بشكل منظّم كما غيرها من الشركات-الأذرع (NSO/ Pegasus وغيرها) وفقًا لمصالح الكيان وبإمرة أجهزة استخباراته وحكومته. إذ لا يمكن تصوّر شركة خاصّة يمكنها التواصل والعمل مع وكالات استخبارات أجنبية، ولديها زبائن وعملاء برتبة رؤساء، وشخصيّات رفيعة المستوى من كافة أنحاء العالم، وأن تنجح في تأليب الرأي العام في أفريقيا والعالم العربي وأميركا اللاتينية والولايات المتحدة وأوروبا، من دون أن تكون مرتبطة بأهداف أو مشاريع على مستوى أكبر، ولكن مع وضع حدّ فاصل، بحيث لا يتحمّل الكيان الإسرائيلي مسؤولية «رجال الأعمال» حتى لو معظمهم ضباطاً وعناصر سابقين في الجيش أو الاستخبارات.

موظفو هذا الفريق متخصّصون في عمليات اختراق تطبيقات المراسلة كتيليغرام وحسابات البريد الخاصّة وحسابات التواصل الاجتماعي، ورصد أرقام السياسيين والتنصّت عليهم، ولديهم فريق عالي لمراقبة السياسيين المستهدفين، ورصد أفعالهم، والتقاط صور لهم لاستخدامها ضدّهم، أو لابتزازهم.

تقدّم الشركة لعملائها كل خدمات «وكالة استخبارات خاصة»: القرصنة، تزوير وثائق، شبكة ضخمة من الحسابات الوهمية بهويّات مزيّفة على شبكات التواصل الاجتماعي، نشر مقالات أو محتويات في وسائل الإعلام. والجدير بالذكر أن وكالة أمنيّة إسرائيلية دفعت لشركة حنان مئات آلاف الدولارات قبل 15 عامًا مقابل تقارير ملفّقة تزعم تفاصيل الأصول المالية لإيران وحزب الله وربطها بعمليات غسيل الأموال وتجارة المخدّرات.

تقنيات متقدّمة في نشر الكذب

"AIMS" Advanced Impact Media Solutions ، أو «الحلول الإعلامية ذات التأثير المتقدّم»

تقوم هذه التقنية بإنشاء صورة رمزية (أفاتار)، وبعد اختيار بلد الإقامة والجنس والفئة العمرية للمستخدم الوهمي، يعرض البرنامج مجموعات من الصور (مسروقة من ملف تعريف حقيقي) ليستخدمها لإكمال الملف الشخصي.

هذه الهوية الوهمية يمكن أن تعمل على منصّات مختلفة (غوغل وفيسبوك وإنستغرام هي الوسائل الأسهل). كما يمكن للمستخدم أيضًا إنشاء حسابات على مواقع مثل أمازون أو ايربي أن بي أو ريديت وتنفليكس أو حتى المحافظ الرقمية.

لتجاوز عمليات تأكيد الهوية في المواقع المختلفة، يتمّ إرسال رسائل نصية إلى أرقام افتراضية تم إنشاؤها للافاتار حيث يؤدّي اجتياز هذه الاختبارات إلى صعوبة التعرّف على الحسابات الوهمية التابعة لفريق خورخي على أنها مزيّفة.

لا توفّر أداة AIMS إمكانية إنشاء الصور (الأفاتار) فحسب، بل يمكن إنشاء محتوى مدعوم من الذكاء الاصطناعي أو الآلة ونشره، حيث يمكن لمشغّل واحد أن يحمل 300 ملفّ شخصي (كجيش من المرتزقة)، وباستخدام الكلمات الرئيسية، يمكن للأداة فبركة منشورات أو مقالات أو تعليقات أو تغريدات تحاكي السلوك الحقيقي لمستخدمي الإنترنت بأيّ لغة، وبنبرة «إيجابية» أو «سلبية» أو «محايدة». بعد إدخال الكلمات المفتاح في «تويتر»، على سبيل المثال، تبدأ الأداة بإنتاج 10 تغريدات سلبية عن الموضوع أو المحتوى. وبعد لحظات ستنهال التفاعلات والتعليقات من حسابات قد تبدو حقيقية تعلّق بسلبية أو بغضب ممّا يثير ردّات فعل معارضة أو موافقة لما تمّ نشره، ويساهم في خلق رأي عام لدى الجمهور في كثير من الأحيان، بناءً على الدعاية التي يريدها المشغّل.

التعاون بين وسائل الإعلام الغربية ووكالات الاستخبارات المعنيّة للتلاعب بالرأي العام ليس أمراً جديداً، كما أظهرت عدّة حالات في السنوات الأخيرة. نستطيع أن نتخيّل في هذا السياق نشاطات هذه الأدوات الاستخبارية لدى العدو في أحداث العالم اليوم، لا سيما في تغطية أخبار العدوان على غزّة وما يرافقه من تبعات على مختلف الصعد، ممّا يبيّن لنا مدى تغلغل العمل الاستخباراتي والأمني للعدو وتقدّمه في مختلف الساحات، أبرزها الفضاء السيبراني، وأهمية مواجهة هذا الهجوم بوعي لادقّ التفاصيل، وعدم الانجرار والوقوع في فخّ الدعاية الإسرائيلية.

تحت القوس

قضاء ضعيف في دولة منهوبة

باسكال فهد

هَزَمَنا هَزَمَنا إِلَيكِ تَهتَمّينَ بِأُمورٍ كَثيرَة .. إِنَّما المَطلوبُ واحِد
[لوقا10/من38]

في دولة منهوبة تم الاستيلاء فيها على ودائع الشعب ومدخراته بحيث بات عاجزاً عن تأمين أبسط حقوقه، لا بد من قضاء قوي متحرّر من كافة الحسابات والمحسوبيات من أجل خوض أشرس المعارك القانونية في سبيل إحقاق الحق ونصرة الشعب المسروق وتحقيق العدالة بمختلف أوجهها، بحيث يسترجع المواطن ثقته بالمحاكم والقضاء، وبالتالي ثقته بوطنه.

هذا المواطن بحاجة اليوم، أكثر من أي وقت مضى، الى فتح أبواب قصور العدل أمامه، فيدخل منها الى مكان يشعر فيه بالطمأنينة، مدركاً أنه سيصل الى حقه بالطرق القانونية اسوةً بالمواطنين في الدول الأخرى المتقدمة.

ليس بعيداً عن الظلم الناتج عن تبخّر الودائع، ظلم من نوع آخر يلحق بالموقوفين لارتكابهم أفعالا جرمية، الا أن مدة توقيفهم تجاوزت المدة القصوى للعقوبة المنصوص عنها قانوناً.

يقبعون في سجون تخالف كل المعايير الدولية، يتعرضون للجوع والبرد، عائلاتهم باتت عاجزة عن مدّهم بالأكل ومستحضرات النظافة فانتشرت الأمراض بينهم، ناهيكم عن الشبان اليافعين الذين دخلوا السجن بسبب جنح بسيطة ومكثوا طويلاً الى أن تحوّلوا الى مجرمين حقيقيين، فتعلّموا أساليب جديدة هناك، عززها في وجدانهم الحقد الذي اعتراهم تجاه دولتهم التي أهملتهم ونسنهم في العنابر.

ملفات متراكمة، سجناء ينتظرون، مودعون يأملون، محامون يتابعون من دون كلل أو ملل، والأنظار كلها على القضاء والقضاة الشرفاء الذين لا يتعبون ولا يخشون أحداً، ضمائرهم سلاحهم، يعملون في ظروف قاسية ولا يملّون ولا يستسلمون. يستقبلون في مكاتبهم الناس، يستمعون الى همومهم، يساعدونهم، يتابعون الملفات لساعات طويلة ولا يتذمّرون، يتحدون الطبقة السياسية ويفتحون أخطر الملفات ولا يتراجعون رغم الاضطهاد. يتجرأون حيث لا يجرؤ الآخرون فهم أحرار يعرفون الحق والحق يحررهم. هؤلاء القضاة الذين نأمل أن يحذو الباقون حذوهم فيحملوا مصابيح العدالة لينيروا قصور العدل والسجون المظلمة، ويرفعوا عن الدولة الضعف في مؤسساتها ويعيدوا الهيبة الى قضائها. قضاة يثورون من أجل العدالة، يوقفون الفساد من خلال فصل السلطة القضائية عن السياسة عملاً بمبدأ فصل السلطات المكرّس في المادة 20 من الدستور وفي مواثيق الأمم المتحدة. هذا المطلب لا يمكن حصره بالقضاة، بل يهم كل العاملين في مجال تحقيق العدالة في المجتمع. ولنقابة المحامين دور محوري في هذا الإطار من خلال المساهمة في التطور الحضاري وحماية كرامة الانسان، إنطلاقاً من أن المحاماة رسالة إنسانية سامية لنصرة الحق والدفاع عن المظلومين والبحث عن العدل. فالنقابة تضمّ المحامين المسجلين إلزامياً في سجلها النقابي والذين يتمتعون حصراً بحق التوكل والمرافعة أمام المحاكم وتحقيق رسالة العدالة بالدفاع عن الحقوق من خلال إبداء الرأي القانوني وتطبيق القانون، وترسي قواعد المهنة وأصول ممارستها من خلال التمسك بالقيم الانسانية.

هؤلاء المحامون الذين يحملون قضايا الناس الى القضاء، عليهم أن يحملوها بأمانة، وأن يثابروا في سبيل التوصل الى النتائج المرجوة خلال فترة زمنية لا يمكن أن تطول في ظل الظروف الراهنة. للنقابة دوران أساسيان، دور مهني، فهي تسهر على حقوق المحامين وحصاناتهم وضماناتهم تأميناً لقدسية حق الدفاع، ودور وطني إذ أنها ضمير الأمة والحريصة على تطبيق الدستور ومبادئ الديمقراطية والحريات العامة التي يكفلها الدستور.

لا شك في أن النقابة شهدت، بعد الحرب الأهلية، تراجعاً ملحوظاً، فقد كانت تملك ثقلاً كبيراً في الحياة السياسية والوطنية وتؤثر على صناعة القوانين والتشريعات في مجلس النواب، ولم تعد بعيدة عن قوى السلطة والتجاذبات السياسية رغم نزعات الاستقلالية التي تبرز فيها بين الحين والآخر. برز هذا التراجع بشكل واضح خلال الأزمة الأخيرة التي عصفت بالبلاد، فغيابها يواجه لبنان الانهيار المالي والاقتصادي وفقدان الثقة بمؤسسات الدولة وبالقوانين نتيجة فساد السلطة وعدم المحاسبة وعجز القضاء عن ملاحقة ومحاسبة المسؤولين عن الاستيلاء على حقوق المودعين، لم تؤد نقابة المحامين الدور المرجو منها. اقتصر دورها على مواقف خجولة ورمادية لا تتمتع بالقوة اللازمة لتحقيق العدالة وحماية حقوق الشعب المنهوب من قبل المنظومة الفاسدة بالتعاون مع المصارف ومصرف لبنان.

أما في مجال التشريع وفي ظل تلكؤ السلطة التشريعية عن القيام بمهامها في مجال اقتراح القوانين، خصوصاً تلك التي تمسّ حياة المواطن اليومية بالاضافة الى الحاجة الى تعديل القوانين الموجودة وتحديثها لمواكبة العصر، فلا نشهد أي دورملحوظ لنقابة المحامين في هذا المجال. المطلوب اليوم ليس جديداً بل التركيز بجدية اكبر على استقلالية القضاء وصدور التشكيلات القضائية المبنية على العلم والكفاءة والنزاهة والصلابة من دون أي قيد طائفي، وأن تكون التعيينات على أساس الانتاجية والجدية في العمل، وتشكيل خلايا للعمل المتواصل على متابعة ملفات الموقوفين وتسهيل أمورهم للحد من ظاهرة اكتظاظ السجون وكذلك إظهار صورة نقية وحيوية للعدالة في البلاد تمثل نقطة ضوء في عتمة هذا البلد، ونموذجاً يحتذى به في إعادة النهوض والبناء التي ينشدها جميع اللبنانيين.

القوس
السبت 6 كانون الثاني 2024 العدد 95

200 شهيد كل 24 ساعة في غزة

تعود الأرقام إلى الفترة الممتدة من 21 كانون الأول 2023 حتى 3 كانون الثاني 2024

الشهداء والجرحى خلال «فترة الاعياد»

التاريخ	شهداء	جرحى
21-22/12/2023	390	734
23/12/2023	201	368
24/12/2023	166	384
25/12/2023	250	500
26/12/2023	241	382
27/12/2023	195	325
28/12/2023	210	360
29/12/2023	187	312
30/12/2023	165	250
31/12/2023	150	286
01/01/2024	156	246
02/01/2024	207	338
03/01/2024	128	261

اعتقالات الضفة خلال «فترة الاعياد»

التاريخ	عدد المعتقلين
23/12/2023	8
24/12/2023	10
25/12/2023	35
26/12/2023	55
27/12/2023	10
28/12/2023	25
29/12/2023	20
30/12/2023	20
31/12/2023	16
01/01/2024	34
02/01/2024	26

بالإضافة إلى:

انتشار العديد من الامراض النفسية والجلدية في محافظة شمال قطاع غزة نتيجة انتشار القمامة ومياه الصرف الصحي والحيوانات النافقة

أرقام عن المعتقلين

3,000 في غزة بينهم اكثر من 200 امرأة وطفل

11,000 لقوا في الضفة خلال 2023 نصفهم بعد 7 اكتوبر

300 امرأة + **1,085** طفلاً من الضفة الغربية والقدس خلال 2023

المصادر: صندوق الامم المتحدة للتعليم، وزارة الصحة الفلسطينية في غزة، القوس (روزنامة الجرائم الإسرائيلية)، المرصد الاورومتوسطي، هيئة شؤون الاسرى

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous | al_qaous | alqaous22 | alqaous | 01/34 99 54
info@alqaous.com | www.alqaous.com